أخبار اليوم
قطاع الثقافة

مكتبة إحسان عبد القدوس الكاملة

إحسان عبد القدوس

يا إبنتى لا تحيرينى معك

مطبوعات
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

إحسان عبد القدوس

يا ابنتى ..

لا تحيرينى معك

يا ابنتى لا تحيرينى معك

لم أكتب هذه المجموعة على أنها مجموعة قصص ورغم ذلك فهى قصص . . وقد كتبتها على أنها حوار بين الجيل الجديد والجيل القديم حول نواحى الحياة.. كما ينحصر الحوار حول النواحى السياسية بين الشاب والعجوز فيما أكتبه تحت عنوان «على مقهى فى الشارع السياسى » وينشر فى مجلة أكتوبر.. فإن هذا الحوار يدور بين الأم وابنتها حول نواحى الحياة الاجتماعية التى تهم المرأة .

والحوار هو عرض ومناقشة موضوع.. وكل

موضـوع يعتبر قصة.. أى أن هذه المجموعة رغم أنها لم تكتب على أنها قصص إلا أنها فى الـواقع قصص.. أو هـى نـوع جـديد من العـرض القصصى أدخل بـه إلى الأدب العـربى.. ويمكن ببسـاطة وسهـولة إعـادة كتابـة كل مناقشـة من هـذه المناقشـات التى يعـرضهـا الحوار فى شكل قصة كـاملة بالسيـاق والأسلوب التقليدى لكتـابة القصة .

وأنا عنـدما أتعـرض للحوار بين الجيـل الجديد والجيل القـديم اعتقـد انـه مهما وصل الخلاف بينهما فإن الجذور واحـدة.. فمهما اختلفت البنت مع الأم أو الابن مع الأب فى أسلـوب الحيـاة وفى أسس التفـكير وفى الآراء التى يصـلون إليهـا ، فإنهما مرتبطان دائما بجذور واحدة.. وهى جذور ثابتة فى أصل المجتمع.. أى أن المجتمع مهما تطور يبقى مرتبطا بالجذور التى تكوَّن ونما بها.

وهذا مـا دفعنى - مثـلا - أن أكـرر التعبير عن

رأيى فى أن الشاب مهما تطـورت آراؤه ونظرته إلى المرأة فإنـه إذا أحب امـرأة جـذبتـه عـواطفـه إلى جذوره..

وأصبحت آراؤه ونظـرتـه إلى المرأة التى يحبهـا هى نفس نظـرة وآراء ابيه وجـده وجد جـده.. أى أن الشـاب - مثلا - قد يكون مقتنعا بأن من حق الفتاة أن ترقص ولكنـه إذا أحب هذه الفتاة أصبح كجده ومنعها من الرقص.. مادام الشاب يعيش فى امتداد المجتمع الذى كان جده يعيشه .

وربما كـان الانفصال التـام بين الجيلين يحدث إذا تغير المجتمع الذى ينشأ وينمو فيه كل منهما.. أى إذا نما كل منهما بجـذور مختلفـة.. وهـذا ما يحدث بين أجيـال المهاجـرين.. فـالمصرى الذى يهاجـر إلى أمـريكـا أو إلى استراليـا يبقى هنـاك مصريـا بعقليتـه وأسلوبـه فى الحيـاة لأن جـذوره نبتت فى المجتمع المصرى..

ولـكن ابنـه وعـلى الأخـص ابن ابنـه ينشأ

وينمـو فى مجتمع آخـر أى بجـــذور مختلفـة عن الجذور التى يمتـــد إليهـا الأب.. لـــذلك ـــ وكما شـــاهـــدت بنفسى ودرست ـــ فـإن انفصـــال الشخصية يعتبر كـاملاً بين الجيلين فى مجتمعـات المهاجـرين خصوصا انفصـــال شخصية البنت عن شخصية الأم ..

ومهما كـان واقع هـذا التحليـل فإنى لم أتعمـد التقيد به فى هذه المجموعة..

إنما « يـــــا ابنتى لا تحيرينـى معك » تجمـع انطلاقـة حرة فيما أتخيلـه من آراء يمكن أن يعبر عنهـا جيل الابنـة وجيل الأم حول كل مـا يخطـر على حياة المرأة.. وما يخطر على خيالى ..

إحســان عبـد القــدوس

قالت الابنة فى بساطة.

ـــ ماما.. سأدعو عصام ليذاكر معى هنا فى البيت .

ورفعت الأم حاجبيها فى دهشة وقالت :

ـــ من هو عصام ؟

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها :

ـــ انه زميلى .

وقالت الأم فى حدة :

ـــ ان هناك ألف زميل. فمن يكون عصام هذا بينهم ؟

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى لوم :

ـــ انه صديقى .

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تحاول أن تكشف سرها :

— انى أقول انه صديقك. وليس مجرد زميلك.. واحكى لى.. أى نوع من الصداقة هذه ؟

وسحبت الابنة ابتسامتها وقالت وهى تزفر أنفاسها فى غيظ :

— ماما.. لا تبدئى التحقيق معى.. وليست هناك حكاية احكيها لك.. انه زميل تعودت أن ألقاه فى الكلية. ونناقش المحاضرات معا إلى أن أصبحنا أصدقاء.. صداقة زمالة.

وقالت الأم وكأنها توجه الاتهام :

— وطبعا لم تلتقيا أبدا خارج الكلية .

وقالت الابنة فى ضيق :

— لا..

وعادت الأم تقول ساخرة :

وطبعاً كل الكلام بينكما عن المحاضرات .

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى تحد.

— لا.. أقل الكلام عن المحاضرات وأغلبه عن الاساتذة وسخافات الطلبة والطالبات.. وأحيانا عن الاباء والامهات.. نتسلى .

وقالت الأم محتدة :

— وتريدين دعوته للبيت لتستكملا التسلية ؟

وقالت الابنة وهى تلتقط انفاسها كأنها تستجير بالله .

— يا ماما حرام عليك.. انى أدعوه ليساعدنى فى المذاكرة.. أن ما افهمه فى يومين أفهمه معه فى ساعة.. وما احفظه فى أسبوع أحفظه معه فى يوم.. انه فعلا يساعدنى.. انه من الطلبة المتفوقين.. من الأوائل. وقالت الأم كأنها تحسم الموضوع .

— الناس لن تصدق حكاية المذاكرة. وهم يرونه يدخل ويخرج من بيتنا ..

وقالت الابنة وصوتها يرتفع فى غيظ :

— افرضى انه أستاذ يعطينى دروسا خصوصية ماذا كان سيقول الناس ؟

وقالت الأم :

— سيقولون انه أستاذ.. أما صديقك هذا فهو تلميذ.. ولعب عيال..

وقالت الابنة صارخة :

— ياأمى أنت تعرفين أن كثيراً من الأساتذة لهم علاقات مع الطالبات. وأنا ليس بينى وبين عصام أى علاقة سوى الزمالة والصداقة .

وقالت الأم فى حسم :

— الناس تتكلم عن الطلبة ولا تتكلم عن الأساتذة.. وأنا لا أريد أن اعرضك وأعرض نفسى لكلام الناس .

وقالت الابنة فى عصبية :

— الناس تتكلم حتى عن الملائكة.. انهم لم يرحموا ستنا مريم من الكلام.. لاتكونى رجعية يا ماما.. كل ما أريده هوأن أضمن النجاح فى الامتحان.. وقالت الأم وهى ترفع صوتها هى الأخرى :

— والله عال.. شرط النجاح الآن هو أن تأتى البنت بولد فى بيتها ويغلقا على نفسيهما الباب.. للمذاكرة طبعا.. وافرضى انى قبلت هذا الكلام.. هل يقبله أبوك ؟

وصرخت الابنة :

— ولماذا قبل أبى أن تأتى عائشة إلى البيت لتذاكر مع أخى محمود وقالت الأم فى زهق:

— لا أنا ولا أبوك مسئولان عن عائشة ولكننا مسئولان عنك.. وارتفع صوت الابنة وهى تضرب المائدة امامها بكتبها .

— ان ما تقبليه لبنات الناس يجب أن تقبليه لابنتك.. والناس كلها تقول أن عائشة تحب محمود.. فلماذا تتركين الناس تتكلم عن عائشة

وتخافين على أنا من كلام الناس ؟ لماذا لم تمنعى عائشة من المذاكرة مع محمود كما تريدين منعى من المذاكرة مع عصام؟ لماذا يكون من حق أخى أن يأتى بصديقته إلى البيت وليس من حقى أن أدعو صديقى؟ لماذا تفترضين أن صداقة أخى وعائشة صداقة بريئة نظيفة وتسمحين لهما بأن يغلقا باب حجرة المذاكرة ولا تفترضين نفس الفرض بالنسبة لصداقتى مع عصام ؟ لماذا؟

وصرخت الأم تقاطعها :

— كفاية.. البنت شىء والولد شىء آخر ان اخاك محمود يسهر خارج البيت إلى ما بعد منتصف الليل.. يذاكر مع أصدقائه.. هل تريدين أنت أيضا أن تبقى خارج البيت إلى ما بعد منتصف الليل؟ ثم انى لو كنت أم عائشة لما سمحت لها بأن تذاكر مع محمود فى بيته.. وارحمينى من دوشتك.. أوجعت دماغى .

وقامت الأم وخرجت من الغرفة وهى تدق على الأرض بقدميها فى غل.

وسقطت الابنة على المقعد العريض وهى تهمس لنفسها .

— سأعرف كيف اتصرف ..

عادت الابنة من الجامعة وجلست أمام أمها وقالت وبين عينيها نظرات جادة :

— ماما .. لقد عودتنى على أن أكون صريحة معك .. ما سأقوله لك الآن لست مضطرة إلى قوله .. ولكننى فضلت أن أكون صريحة ..

ورفعت الأم إلى ابنتها عينين ضارعتين كأنها تتوسل إليها الا تصدمها بمصيبة وقالت وكأنها تتنهد :

— خير يا ابنتى ..

وقالت الابنة كأنها تعلن آخر الأنباء :

— لقد سبق أن طلبت أن أدعو زميلى عصام

ليذاكر معى هنا فى البيت .. ولم توافقى .. ولذلك قررت أن أذهب أنا اليه معه فى بيته ..

وخبطت الأم على صدرها وصرخت :

— يا مصيبتى .. كيف تذهبين إلى شاب فى بيته حتى ولو كان بحجة المذاكرة .. لو عرف أبوك لذبحك وذبحنى معك ..

وقالت الابنة فى هدوء :

— ان عائشة تأتى إلى هنا وتذاكر مع أخى فى البيت ..

وعادت الأم تصرخ :

— قلت لك : إننى لست أم عائشة حتى أكون مسئولة عنها ..

وقالت الابنة وهى تبتسم ساخرة :

— المسألة ليست مسألة مسئولية ولكنها مسألة مبادىء وتقاليد اجتماعية وقد وافقت أنت وأبى على أن تذاكر عائشة مع أخى هنا فى البيت فأصبح من حقى أن أعيش بنفس المبادىء والتقاليد وأذاكر مع عصام فى بيته ..

ورفعت الأم يديها فوق رأسها كأنها تهم بأن تولول وقالت :

— يا ابنتى حرام عليك .. ارحمينى من الجنون .. قلت لك لايمكن .. مستحيل ..

وقالت الابنة وهى لا تزال هادئة .

— يا أمى.. يا أغلى أم.. كان يمكن الا اصارحك.. كان يمكن أن أذهب إلى عصام فى بيته بعد أن أقول لك انى ذاهبة إلى الجامعة أو إلى صديقتى فوزية.. أنت تعلمين أن لا شىء يمكن أن يمنع البنت عما تريد.. لاتنسى أنك كنت بنتا.

وسكتت الأم برهة كأنها تستعيد أنفاسها وقالت :

— عندما كنت بنتا لم أفكر أن أذاكر مع شاب فى بيتى ولا فى بيته .

وابتسمت الابنة ابتسامة كبيرة وقالت:

— لأنك لم تدخلى الجامعة .

وقالت الأم وكأنها لم تسمع تعليق ابنتها .

— ثم من أدرانى كيف يعيش صديقك فى بيته .

وقالت الابنة وقد لمعت عيناها كأنها أوشكت على تحقيق النصر .

— انه يعيش مع عائلته طبعا.. أبوه وأمه وله أختان أحداهما فى الجامعة.. كلية التجارة.. والثانية فى الثانوى.

وقالت الأم وعيناها تائهتان فى الحيرة :

— ولكنى لا أعرف أمه.. ولا أعرف أحدا من هذه العائلة ولا حتى سمعت عن أحد منهم .

وقالت الابنة .

— انك أيضا لا تعرفين أحدا من عائلة عائشة صديقة أخى..

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى امتعاض:

— ان أمها لم تطلب التعرف بى بل انها لم تسأل عنها فى التليفون وهى هنا.. ومن يدرى.. ربما كانت عائشة تأتى إلينا دون أن يعلم اهلها.

وقالت الابنة معترضة .

— لا ياماما.. كل أهلها يعلمون انها تذاكر مع أخى.. وأمها سيدة متحررة.. مودرن .

وقالت الأم فى حدة .

—التحرر ليس معناه الا تعلم أين ابنتها..

وقالت الابنة ساخرة.

— وليس معناه أن تتبع الأم ابنتها كأنها عسكرى بوليس.. وسكتت الأم برهة ثم قالت كأنها اتخذت قرارها الأخير .

— اسمعى.. إذا كنت تريدين أن تذاكرى مع عصام فيجب أن أتعرف على أمه وعائلته..

وقالت الابنة وكأنها فوجئت:

— كيف.. كيف تتعرفين على عائلته.

وقالت الأم فى عزم :

— دعيه يأتى مع أمه لزيارتنا .

وضحكت الابنة ضحكة سريعة وقالت.

— ياماما غير معقول.. كأنك تطلبين منه أن يأتى مع أمه ليخطبنى. الموضوع ليس موضوع زواج انه موضوع الامتحان والمذاكرة.. وفرق كبير بين أن يأتى ليتزوجنى أو يأتى ليذاكر معى.

وقالت الأم فى حدة :

— المهم يجب أن أعرف عائلته.. ان صداقة الاولاد يجب أن تصحبها صداقة العائلات.

وقالت الابنة وكأنها استمعت إلى حكمة :

— هذا صحيح يا أمى.. يجب أن نتعارف عائليا ما دمنا تعارفنا شخصيا.. ولكنى لا استطيع أن أطلب من عصام أن يأتى بأمه لزيارتنا .انه هو نفسه سيتصور أنى أطلب منه أن يأتى ليخطبنى .

وقالت الأم وهى تتنهد فى زهق :

— وما الحل ؟

وقالت الابنة :

— الحل هو أن أذهب لأذاكر معه فى بيتهم وتتصلى بى هناك بالتليفون لتطمئنى على ولا شك أن أمه سترد عليك.. أو أنى استطيع أن أقول له انك تريدين أن تكلمى أمه لتشكريها على استضافتها لى..وبذلك تتعارفان ..

وسرحت الأم مع أفكارها برهة ثم قالت كأنها قررت أن تقدم على المخاطرة :

— اسمعى .. ليأت هو ليذاكر معك هنا ..

وصاحت الابنة فى فرح :

— صحيح يا ماما ؟

وقالت الأم وليس على وجهها فرحة .

— الصحيح هو ما يوافق عليه أبوك ..

قالت البنت فى زهق :

— ماما هل تحدثت مع بابا عن دعوة عصام ليذاكر معى ..

وقالت الأم ووجهها متجهم :

— لا ..

وقالت البنت فى سخط :

— لماذا .. لقد وعدتنى .. إنى أريد أن أنتهى من هذا الموضوع اليوم ..

وقالت الأم وهى تتنهد كأنها تستجير بالله :

— كان هناك موضوع أهم ..

وقالت البنت فى دهشة :

— ما هو الأهم ..

وقالت الأم وهى تهز رأسها ساخطة :

— البنطلون البلوجينز ..

وقالت البنت وهى أشد دهشة :

— ماله البلوجينز ..

وقالت الأم وهى تزفر أنفاس السخط :

— لقد رآك فى البنطلون الجديد وهو يريدنى أن أقول لك انه ممنوع .. ممنوع لبس هذا البنطلون .. انه فى نظره أوقح من المينى جيب .. انه يظهر تفاصيل نصفك الأسفل بشكل مثير ..

وصرخت البنت فى احتجاج :

— انه بنطلون يغطى كل قطعة منى ، ماذا يريد أكثر من ذلك ..

المطلوب هو تغطية اللحم وقد غطيت لحمى كله.. كل البنات يرتدين البلوجينز ..

وقالت الأم مبتسمة ابتسامة ساخرة :

— المهم كيف تغطين لحمك .. أحيانا تكون التغطية أوقح من العرى .

وقالت الابنة وهى تقلب شفتيها فى قرف :

— إن أبى كبقية الرجال .. لا ينظر إلى المرأة إلا بعين واحدة .. عين الجنس .. المرأة ليست سوى قطعة من اللحم ..

وقالت الأم فى هدوء :

— اذن فاعذريه مادام كبقية الرجال ..

وقالت البنت فى ثورة :

— انه كبقية رجال الجيل القديم .. جيلنا لا يرى فى البلوجينز أى اثارة واسألى أخى ..

وقالت الأم ساخرة :

— أنا متأكدة أن أخاك كأبيك فى كل ما يخصك .. انه يسمح بالبلوجينز لأية فتاة إلا أخته ..

وقالت البنت :

— ان صديقته عائشة كل يوم فى بنطلون ..

وقالت الأم ساخرة :

— لأنه لم يتزوجها بعد ..

وسكتت البنت برهة ثم انطلقت قائلة :

— ماما .. عندى فكرة .. ما رأيك لو لبست مع البنطلون الجينز طرحة بيضاء تغطى رأسى وكتفى كما تفعل البنات المتدينات .. أظن أن هذا سيرضى بابا ويجعله يغفر للبلوجينز .. سأكون أمامه فى منتهى الحشمة ..

وضحكت الأم وقالت :

— يا بنتى هذه نكتة سيضحك عليها كل الناس لو رأوك بالطرحة فوق البلوجينز ..

وصاحت البنت :

— انى أقبل أن أكون نكتة عن أن تعودوا بى إلى

عصر الحريم وأكـون عبـدة للـرجل يفـرض على رأيـه.. البسى وماتلبسيش.. أخرجى وما تخرجيش.. حتى لو كان هذا الرجل أبى .

وقالت الأم وهى تشد انفاسها فى ضيق .

— يا ابنتى المثل العامى يقول : كل ما يعجبك وألبس ما يعجب الناس.. وأقرب الناس اليك هو أبوك فالبسى ما يعجبه.

وصرخت البنت.

— مالى ومال الناس.. اننا فى عصر الحرية.. هل تعرفين حقوق البنت والولد فى الدول المتقدمة.. فى أمريكا وفى بريطانيا وحتى فى استراليا.. ان البنت من حقها أن تترك بيت العائلة عندما تصل إلى السادسة عشرة من عمرها.. لا أحد يستطيع أن يقيد حريتها والقانون معها والمجتمع معها.. واحمدوا ربنا لأنى لم أفكر بعد فى ترك البيت .

وقالت الأم كأنها تسخر من عقلية ابنتها :

— ان البنت هناك تترك بيت العائلة لأنها تستطيع أن تعتمد على نفسها.. تستطيع أن تعمل وتكسب وتستغنى عن دخل أبيها وأمها.. أرينا شطارتك واعملى واكسبى .

وقالت البنت وهى ترد على سخرية أمها .

— ان الحرية لها طريق اخر هنا.. انى استطيع أن آخذ بنطلون معى وألبسه فى بيت صديقتى هدى.. ولا مين سمع ولا مين درى .

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها نظرة جادة :

— قولى لى يابنتى.. لماذا لا ترتدين هذا البنطلون عندما تذهبين إلى الجامعة .

وترددت البنت قليلا ثم قالت وهى تدير عينيها بعيدا عن أمها.

— لم يخطر على بالى .

وقالت الأم فى جدية:

— كونى صريحة مع أمك.. انك لا تذهبين إلى

الجامعة بهذا البنطلون لأنك تخافين من كلام وتعليقات الطلبة. أى أن فى هذا البنطلون شيئاً غلطاً.. شيئاً مثيراً.. أى ان أباك على حق.. وكما تعملين حسابا للطلبة اعملى حسابا لأبيك .

وقالت البنت صارخة :

— سأذهب إلى الجامعة غداً بالبلوجينز حتى اقنعكم بحقى فى حريتى .

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها مشفقة .

— لاأظن انك جادة فيما تقولين .

وضعف صوت البنت وقالت كأنها خجلة من نفسها.

— ياماما الجامعة حاجة وبعيد عن الجامعة حاجة تانية.. مجتمع تانى .

وقالت الأم وهى تشد البنت إليها فى حنان :

— يا ابنتى أريحينى وأريحى أباك..

وقالت البنت وهى تحنى رأسها على صدر أمها .

— وهل تريحوننى انتم وتسمحون لى بأن أذاكر مع عصام.

وقالت الأم وهى تبتسم ابتسامة كبيرة .

— اعدك..

ثم قامت الأم ودخلت المطبخ وجرت البنت وفتحت الكتاب..

قالت الأم فرحة وكأنها اكتشفت اكتشافا رائعا .

— اسمعى يا ابنتى.. لقد وجدت الوسيلة التى يمكننا بها اقناع والدك بأن يسمح لصديقك عصام بأن يأتى ويذاكر معك هنا ..

وقالت الابنة فى فتور :

— خير يا ماما ..

وقالت الأم فى حماس :

— نقدمه على انه صديق أخيك ..

وقالت الابنة فى دهشة :

— ولكنه ليس صديق أخى إنه صديقى أنا ..

وقالت الأم وهى لاتزال فى حماسها :

— أعرف انه صديقك أنت ولكنى أريد أن يطمئن أبوك ..

وصاحت الابنة فى عصبية :

— لا يمكن أن أطمئن أبى بأن أكذب عليه .. لا تحرضينى على الكذب .. أنت تعرفين أنى لا أحب الكذب ولم أكذب أبدا .. وأبى يجب أن يعرف كل شىء ..

وقالت الأم ساخرة :

— لا يا شيخة .. أبوك يعرف كل شىء .. يعرف أنك منذ اسبوعين عندما كان هو فى الاسكندرية خرجت مع فوزية وأخيها وشلة من البنات والأولاد ورقصتم حتى الساعة الواحدة صباحا .. لماذا لم تقولى له حتى يعرف كل شىء ..

وأدارت الابنة وجهها كأنها لا تريد أن تسمع هذا الكلام وقالت :

— لماذا لم تقولى له أنت .. أنا لم أخرج ولا أسهر إلا بموافقتك ..

وقالت الأم وهى تزفر أنفاسها كأنها تعانى الندم :

— لقد قلت له : إنك ذهبت إلى عيد ميلاد فوزية ..

وقالت الابنة فى صوت خفيض :

— وأنا أيضا قلت له انى ذهبت إلى عيد ميلاد فوزية .. لقد كان عيد ميلادها فعلا ..

وقالت الأم ساخرة :

— ولكنك لم تقولى له ماذا جرى فى عيد ميلاد ستنا فوزية .. لم تقولى له أنك قضيت الليل حتى الواحدة صباحا ترقصين فى محل عام ولم تقولى له أنك صفعت الواد محمود بالقلم لأنه حاول أن يقبلك وهو يرقص معك .. حاول أن يقبلك من شفتيك وطبعا لو انه اكتفى بأن يقبلك فوق عنقك لما احتجت لصفعه ..

وصاحت الابنة :

— يا ماما لا داعى لكل هذا الكلام .. ليس المفروض أن أقول لبابا كل ما اقوله لك ..

وقالت الأم ساخرة :

— لماذا .. انك تقولين انه يجب أن يعرف كل شىء ..

وقالت الابنة فى سخط :

— يا ماما .. يا حبيبتى .. أنت تعلمين ان ما يقال للأم لا يقال للأب خصوصا بالنسبة للبنت . أنت بطبيعتك كامرأة تقدرين ما أقوله وتعذريننى ولكن نفس الكلام لايستطيع الأب أن يقدره لانه كلام يجرحه.. هل كنت تريدين أن أقول لبابا إن محمود حاول أن يقبلنى .. ماذا كان يفعل .. كان يجن وقد يقرر ان ينزل إلى محمود ويضربه علقة أو ربما ضربنى أنا هذه العلقة .. أنى صريحة صادقة مع بابا ولكنى حريصة على ألا أجرحه بصراحتى .. ورغم ذلك لو انه كان قد عرف حكاية محمود وحكاية سهرى للساعة الواحدة لاعترفت ولما كذبت عليه .. وأنا راضية عن نفسى لأنى إذا كنت قد أخفيت عن بابا فإنى لا أخفى عنك شيئا أبدا .. وأنت تعلمين ..

ومدت الأم ذراعيها وضمت ابنتها إلى صدرها وهى تقول :

أعلم يا ابنتى .. ان أكثر ما يطمئننى وأكثر ما أعتز به هو انى واثقة انك لا تخفين عنى شيئا .. وأحس دائما بأننا لسنا أما وابنتها فحسب ولكننا أيضا أصدقاء ..

وقالت الابنة وهى تقبل أمها قبلة سريعة :

— أنت أعز صديقة لى يا أمى .. ولكنك أحيانا تقفين ضدى كما تقفين الآن ..

وقالت الأم كأنها تنفى تهمة :

— أبدا .. أنا لا أقف ضدك ولكنى أخطط معك .. وأعتقد أن الخطة الأخيرة هى التى ستحقق النصر لك ولى ..

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها فى يأس :

— أى خطة ؟
وقالت الأم وعيناها تلمعان كأنها تعرض خطة خطيرة :

— اسمعى .. تصحبين صديقك عصام إلى كلية الهندسة وتلتقين بأخيك محمود كأنك التقيت به صدفة .. تنتظرين أخاك ومعك عصام إلى أن يمر بك ليعود معك إلى البيت .. وتقدمين أحدهما للآخر .. ثم تحدثين أخاك عن عبقرية عصام وأنك تريدين أن يساعدك فى المذاكرة.. و .. وقاطعت الابنة أمها صارخة :

— يا ماما حرام عليك .. هذا كلام زمان .. وزمان لم يكن من حقك أن يكون لك صديق إلا إذا كان صديق أخيك وصديق العائلة .. اليوم حياة أخرى ومجتمع آخر .. البنت التى تدخل الجامعة وتعمل فى كل المهن والوظائف وتستطيع أن تكون وزيرة ورئيسة مجلس إدارة .. هذه البنت أصبح من حقها أن يكون لها أصدقاء كما أن لها زملاء .. وعصام صديقى وليس صديقى أخى .. ويجب أن أقدمه وأن تقبلوه على أنه صديقى أنا ..

وصرخت الأم ردا على صراخ ابنتها :

— إلى الآن لا أحد يصدق أن هناك صداقة يمكن أن تقوم بين ولد وبنت والجيل الجديد كالجيل القديم يؤمن بأنه لا يجتمع رجل وامرأة إلا وكان ثالثهما الشيطان .

وقالت الابنة وهى تضحك ساخرة :

— ان الشيطان أصبح كسيحا على ايامنا.. لاننا نرفض الاختباء.. نرفض أن نعيش فى السر كما كنتم على أيامكم.. الشيطان ينفرد بالرجل والمرأة عندما يختبئان وراء الجدران ولكنه لا يستطيع أن يقترب منهما وهما يعيشان فى المجتمع بصراحة.. يعيشان فى الهواء الطلق.. وعلى كل حال لن اعتمد عليك وسأعرف كيف اتصرف .

وقالت الأم فى جزع:

— ماذا ستفعلين ؟

وقالت الابنة فى ثقة :

— سأطلب أنا من بابا أن يسمح لعصام بأن يذاكر معى.. وأنا واثقة أن بابا يفهمنى أكثر مما تفهميننى ..وسقطت الأم على المقعد كأنها انهارت وهى تهمس.

— ارينى شطارتك.

قالت الابنة وبين شفتيها ابتسامة فرحة .

- بابا وافق على أن أدعو عصام ليذاكر معى.

وقالت الأم فى برود.

- أعرف..

وقالت الابنة فى دهشة .

—لماذا لم تقولى لى ما دمت تعرفين ؟

وقالت الأم وهى لا تزال فى برودها .

— لأنك فضلت أن تطلبى الموافقة من أبيك بنفسك.. ولأنى كنت أفضل ألا يوافق..

وقالت الابنة فى فرحة الانتصار على أمها :

— لماذا يا أمى ؟

وقالت الأم وهى تزفر أنفاسها :

—لأنى كما قلت لك لا أعرف صديقك هذا ولا أعرف أمه..

وقالت الابنة وهى تهز رأسها كأنها تأسف على عقلية أمها.

— بابا أيضا لا يعرفه ولا يعرف أباه.. وقد سألنى كثيرا عن أب عصام وأنا لا أعرف عن ابيه شيئا إلا اسمه ووظيفته ورغم ذلك وافق بابا.. لاثقة فى عصام وفى ابيه.. بل ثقة فىّ أنا .

وقالت الأم فى حدة :

— الثقة ليس معناها أن نتركك لشاب لا نعرف أصله وفصله..

وقالت الابنة :

— يا أمى انك لا تتركيننى لأحد وأنا لا أترك

نفسى لأحد.. ثم أن الأصل والفصل لم يعد لهما قيمة زمان.. لم تعد شخصية الولد والبنت تقدر بتقدير قيمة العائلة أو بشخصية الأم والأب. أن أولاد جيلنا أصبح لكل منهم شخصيته الخاصة القائمة بذاتها وغالبا ما تختلف عن شخصية الأب والأم.. اننا نعيش دنيا جديدة ومجتمعا جديدا يفرض علينا تقاليد جديدة.. أنا لا أعيش الحياة التى كنت تعيشينها وأنت فى مثل عمرى.. ولا أخى محمود يعيش الحياة التى كان يعيشها أبى وهو فى عمره.. زمان كان الشاب الذى يعمل جرسونا فى أحد الفنادق يعتبر انه مسكين غلبان ومن عائلة خدامين أو أنه نزل بنفسه إلى مرتبة الخدم وكان لا يمكن أن تزوجى ابنتك لجرسون.. والآن أصبح الذين يتطلعون إلى مهنة الجرسون شبانا من أحسن الشبان وأصبح ابن الوزير يمكن أن يكون جرسونا وأحسن بنت يمكن أن تتزوج جرسونا .. وزمان كانت البنت التى تعمل خياطة تعتبر خدامة وشحاتة والتى تعمل سكرتيرة تعتبر منحلة تبيع نفسها لرئيسها.. والآن هناك سيدات وانسات من أحسن وأرقى عائلات مصر يعملن خياطات وسكرتيرات.. وهذا يجعل هناك فارقا كبيرا فى الشخصية بينكم وبيننا.. فلو عرفت أم وأب عصام فليس معنى هذا أنك عرفت عصاما..

وقالت الأم كأنها تصرخ :

— البيت هو الأساس .. البيت هو الأرض التى تنمو فيها البذور.. فإذا كانت الأرض صالحة تنمو البذور صالحة

وردت الابنة ساخرة :

— ان المثل القديم قدم دنياكم يقول: يخلق من ظهر العالم فاسداً..ويمكن أن نقول أيضا.. يخلق من ظهر الفاسد عالماً.. وعلى كل حال فأنا واثقة من أن أبى رغم موافقته سيبدأ من اليوم فى السؤال عن أب عصام وأنت ستحفرين تحت الأرض حتى تعلمى ما يقال عن امه وعن اخته.. انكم لا تفرقون

بين مطالب الزواج ومطالب الزمالة والصداقة .

وقالت الأم فى قرف :

— دعك من هذا الكلام الفاضى وخبرينى.. متى سيشرفنا زميلك المحترم.

وقالت الابنة وقد عادت إليها فرحتها :

— ربما غدا .

وقالت الأم القرفانة :

—وأين ستجلسان للمذاكرة .

وقالت الابنة وهى تبتسم ساخرة :

— تحت أمرك .

وقالت الأم فى حسم :

— تجلسان مع أخيك فى غرفته.. وقالت الابنة فى دهشة :

— ياماما لايمكن.. أخويا يجلس فى غرفته مع عائشة يذاكر هندسة.. مادخلنا نحن فى الهندسة.. لا أنا استطيع أن أذاكر مع أخى ولا أخى يستطيع أن يذاكر معى .

وصرخت الأم :

— هل تريدين أن تذاكرى مع زميلك فى غرفتك بجانب السرير.

وقالت الابنة وهى تزفر انفاسها فى سخط :

— ياماما.. ياحبيبتى.. اذا كان هناك شىء يمكن أن يحدث بينى وبين عصام فلن يحدث هنا.. أنا لست فى حاجة إلى أن أدعوه إلى البيت ليحدث بيننا شىء.. البيوت والأماكن الأخرى كثيرة.. ثم أنا لا أطلب أن يذاكر معى فى غرفتى .

وقالت الأم من تحت أسنانها :

—أين إذن ياست العباقرة ؟

وقالت الابنة وهى تحاول أن تمسك بأعصابها من الانطلاق.

— فى حجرة الصـالون أو على مائدة الطعـام.. أى مكان من البيت حتى ولو فى المطبخ .

وسكتت الأم برهة ثم قالت وهى تخرج من الغرفة :

— عندما تأتين به يحلها ربنا .

وتتبعها الابنة بعينين فرحتين وبين شفتيها ابتسامة النصر .

قالت الأم وهى تبتسم لابنتها ابتسامة واسعة .

* * *

— الحقيقـة انى كنت مخطئة فى الحكم على صـاحبك عصام.. انـه فعلا شاب مهذب.. جاد.. مشرف.. ووسيم.. وذوقك حلو يا بنت .

وقالت الابنة ساخرة : ذوقى لم يكن له دخل فى صداقتى لعصام

وقالت الأم وهى ترشو ابنتها بابتسامتها :

— قولى الحقيقة.. ألم يدخل قلبك..

وقالت الابنةبلا مبالاة :

—لقد اتخذت قرارا منذ سنوات بعيدة..

وقالت الأم فى دهشة :

— أى قرار..

وقالت الابنة وهى تضحك :

— ممنوع الدخول إلى قلبى.. ممنوع الحب .

وقالت الأم فى جزع .

— لماذا يا ابنتى.. حرام عليك أن تظلمى نفسك .

وقالت الابنة كأنها تلقى خطابا :

— بـالعكس.. أنـا أظلـم نفسى ولكنى احمى نفسى.. فنحن نعيش فى دنيـا لم تعد تحتمل الحب.. انى استطيع أن أحـب الله.. وأحب الـوطـن..وأحب الملوخية والبسبـوسة.. ولكن ليس من حقى أن أحب شابا أبعد من حب الزمالة والصداقة .

وقالت الأم فى لهفة :

— لـمـاذا !!

وقالت الابنة وهى تبتسم فى حسرة :

— لأن الحب فى مصر لم يعـد لـه مستقبـل.. افترضى انى أحببت عصاما فماذا تكـون نتيجة هذا الحب.. سأنتظر سنـة أن يتخرج.. ثم انتظـر خمس سنـوات إلى أن يعمل ويصبح لـه دخل يستطيع بـه أن يفتح بيتـا. ثم انتظـر عشر سنوات إلى أن نجـد شقـة تجمعنا كـزوج وزوجة.. ويضيع عمرى فى الانتظار .

وقالت الأم فى اشفاق :

— ولـكن العـائلات تسـاعـد دائمـا أولادهـا وبنـاتها بعـد الزواج..وقالت الابنة فى اصرار :

— هـذا مـا لا أريـده لنفسـى.. وأنـت تعـرفين أن عـائلـة عصـام لا تستطيع أن تساعده وأنا لا يمكن أن أطلب من بابا أن ينفق علىّ بعد أن اتخرج واتزوج.. ثم انى لا أقبل أن أعيش مع زوجى فى بيت أهله أو بيت أهلى.. الـزواج لا معنى لـه دون استقـلال الـزوج والـزوجـة بمعيشتهما .

وقالت الأم وقد ارتفع صوتها كأنها تدافع عن نفسها :

— هذا كـلام فاض.. لقـد تزوجت أباك ومـرتبه لم يكن يـزيد على اثنى عشر جنيها فى الشهر .

وقاطعتها الابنة ساخرة .

— على الأقل وجدتما الشقة .

وقالت الأم كأنها تتباهى بنفسها :

— لقـد كنت أكنس وأغسل وأطبخ بنفسى وليس معى أحد يساعدنى.. أن الزواج الناجح يبدأ من الصفر.

وقالت الابنة كأنها تستهين بعقلية أمها:

— ان الصفر الذى كان يساوى على أيامكم اثنى عشر جنيها فى الشهر.. يساوى الآن لا أقل من ستين جنيها فى الشهر.. الصفر الذى يضمن لنا بداية يمكن أن نرتفع بها كما ارتفعت أنت وبابا.

وقالت الأم فى سخط :

— أنتم جيل مدلل.. لا يريد أن يتعب ليبنى نفسه.. يريد كل شىء جاهزا بين يديه.. حتى فى اختيار ثيابكم.. لقد كنا نفضل الفساتين التفصيل وكلنا تعلمنا الخياطة لنصنع ثيابنا بأنفسنا.. أما انتم فتريدون الملابس جاهزة.. كله جاهز.. لا أنت ولا أية واحدة من صديقاتك تستطيع أن تجلس إلى ماكينة خياطة .

وقالت الابنة ساخرة :

— ولا أنت ولا واحدة من صديقاتك دخلت الجامعة ..

وقالت الأم وهى تتنهد :

— ماذا أخذتم من الجامعة يا حسرة ؟

وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة حلوة لأمها كأنها تخفف عنها.

— اسمعينى يا ماما.. اسمعى كلام بنت الجامعة.. أن الثابت هو أن التقاليد الاجتماعية هى انعكاس للحالة الاقتصادية التى يعيشها المجتمع.. ولذلك تختلف التقاليد من جيل إلى جيل.. ومن بلد إلى بلد.. ومن طبقة إلى طبقة.. كل ذلك حسب اختلاف الحالة الاقتصادية.. ونحن اليوم نعيش فى حالة اقتصادية تختلف عن الحالة التى كنتم فيها أيام شبابكم.. هذه الحالة أثرت فى التقاليد التى تجمع بين المرأة والرجل.. ونتج عنها انه أصبح من الطبيعى أن تعيش البنت والولد بعد الزواج مع عائلة الزوج أو عائلة الزوجة.. لماذا؟ لأنه ليس هناك مساكن كافية ولأن إيجار المساكن أصبح أعلى مما يستطيعه دخل شاب مبتدىء.. أى حالة اقتصادية.. بل أن هذه الحالة بدأت تؤثر على الجيل الجديد تأثيرا خطيرا.. لقد أصبح فى الجيل الجديد من يؤمن بأن الحب يغنى عن الزواج.. أى أن البنت يمكن أن تعاشر حبيبها بلا زواج.. لا لأنها غير شريفة أو لأنها منحلة ولكن فقط لأنها تحب ولأنها لا تستطيع اقتصاديا أن تتزوج حبيبها.. وهذا

يحدث فى مجتمعات كثيرة راقية حضاريا كالمجتمع الأوروبى والمجتمع الروسى ولنفس السبب.. أى أن الحالة الاقتصادية تتطور فى مصر إلى مستوى المجتمعات الأوربية وتصبح الحياة الخاصة للافراد ملكا لاصحابها.. كل واحد حر فى نفسه دون أن يتدخل المجتمع ليسأل البنت والولد هل هما متزوجان أم ليسا متزوجين .

وخبطت الأم على صدرها وقالت :

— يا مصيبتى.. وأنت ابنتى هل تؤمنين بهذا الكلام ..

وقالت الابنة كأنها تحادث نفسها :

— لا، ولهذا أحمى نفسى من الحب .

وقالت الأم الملهوفة :

— كيف ؟

وقالت الابنة مبتسمة فى هدوء .

— بعقلى .

وقفزت الأم واقفة كأنها تذكرت شيئا وقالت وهى خارجة :

— انتظرى حتى اطمئن على البنت نبوية فى المطبخ وأعود إليك لأطمئن على عقلك .

قالت الأم فى لهفة وهى تجلس بجانب ابنتها وتكاد تلتصق بها .

— خبرينى يا ابنتى.. لقد قلت انك تحمين نفسك من الحب بعقلك.. كيف؟

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها كأنها تشفق عليها من لهفتها.

— بأن أسلط عقلى على قلبى.. وأجعل له دائما سلطات القيادة.. عقلى هو القائد الأعلى لكل تصرفاتى.. وأرفض أن أخطو خطوة واحدة مهما ألحت علىّ عواطفى ما دام القائد الأعلى لم يوافق .

وقالت الأم وهى تغمز بعينها لابنتها كأنها تشجعها على أن تبوح لها بالسر :

— ألم يضعف عقلك مرة أمام عواطفك.. ان أى قائد أعلى له لحظات ضعف.. إن الملكة بلقيس

ضعفت أمام سيدنا سليمان رغم انها كـانت تجاربه.. هكذا قرأت.. ألم تلتقى أبدا بسيدنا سليمان وتضعفى له يا ست بلقيس .

وقالت الابنة ضاحكة :

— لقـد التقيت بأكثر من سليمان ولكنـى قاومت أن أضعف أمـام واحد منهم .

وقالت الأم كأنها تستهين بعقلية ابنتها :

— أخاف أن تلتقى بواحد يلطشك من أول نظرة .

وقالت الابنة جادة كأنها تهم ان تلقى درسا :

— تقصدين الحب من أول نظرة.. يا مـاما.. يا حبيبتى.. صدقينى ليس هنـاك ما يمكن أن يسمى الحب من أول نظـرة.. الحب لا يتحقق أبدا مـن أول نظرة.. ولا من ألف نظـرة.. النظرة قـد تولـد الاعجاب.. والاعجاب يتطـور إلى أن يصل بالاثنين إلى نـوع من تكامل الشخصيتين.. وهنـا يـولـد الحب.. وقد لا يتطـور الاعجـاب ويبقى دائما فى حـدود الاعجاب ولا يصل أبدا إلى الحب.. وقد صـادفنى الاعجاب مرة بشاب آخر ولكنى كنت حريصة على ألا أعرض هذا الاعجاب للخطر .

وقالت الأم كأنها لا تفهم ابنتها .

— أى خطر ؟ !

وقالت الابنة وهى تلقى نظراتها إلى بعيد كأنها تتذكر :

— خطـر التجـربة.. ان كثيرات مـن البنات كلما صـادفن شـابـا يعجبن بـه يقدمن معـه ـ وربما من أول يـوم ـ على التجربة.. كل منهن تجرب معـايشة هذا الشاب لعل التجربـة تنتهى بها إلى الحب وينتهى بهما الحب إلى الـزواج.. ومعظم هــذه التجـارب تفشل وتكتشف البنت انها لا يمكن أن تحب هــذا الشــاب.. وقــد يكتشف الشـاب انه لا يمكـن أن يحب هذه الفتـاة.. وقـد يكتشف الاثنـان معـا أن كـلا منهما لا يطيق الآخر.. والمصيبة أن الـذى يحدث بعد ذلك أن البنت

تتعـود التجــربـة.. تخرج من تجربة لتدخل تجربة.. تدمن التجارب وتصبح صورة من صـور الانحلال.. والانحلال ليس حالـة اخلاقية ولكنه حالة مرضية.. انهن مريضات بالانحلال .

وقالت الأم معترضة :

— ولكن لماذا تحكمين على كل التجارب بالفشل .

وقالت الابنة وهى تهز رأسـها كأنها أستاذة فى الجامعة :

— لأنها تجارب تبـدأ بـالاعجــاب من أول نظـرة.. أى الاعجـاب بـالمظهـر.. بجمال البنت ووسـامـة الشـاب.. والمظهـر لا يكشف عن حقيقة الشخصية .

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى حيرة .

— وماذا تفعلين أنت عندما تعجبين بشاب ؟

وقالت الابنة وهى تتنهد وكأنها تتحسر على نفسها :

— لا أعرض نفسـى للتجـربة.. ولكنى اتـرك هذا الاعجـاب يتطور تطورا طبيعيا.. وقـد لا يتطـور.. قد افقده وأنسى من أعجبت به.. وقد يتطور.. فإذا تطـور إلى درجة أن ينقلب إلى تعلق بهذا الشـاب.. ويكاد يصل بى إلى حالة الحب.. تركت القيادة لعقلى.. وعقلى دائما يحرضنى على أن أهرب من هـذا الاعجاب.. اهرب من الحب قبل أن يولـد.. أهرب من الحب وهـو لايزال جنينـا يتحـرك داخل اعصابى.. وأنت تعـرفين رأيى فى الحب.. لقــد قلت لك أن الحب لم يعـد لــه مستقبل فى مصر.. الحب لم يعـد يستطيع أن يقـاوم الحالة الاقتصادية وأزمة المساكن.. لم يعد يستطيع أن يصل إلى الزواج.. أصبح الحب فى مصر كـالشاب العاطل الذى لا يجد عملا يرزق منه.. حبا عاطلاً..

وقالت الأم وهى تمد ذراعها وتحتضن ابنتها:

— يـا ابنتى لا تقـولى هذا الكـلام.. انك تعـذبين نفسك.. إنك تسدلين على نفسك برقع اليأس.. تفاءلى

يـــا ابنتى.. كل عقدة ولهـا حلال.. وكل حب لـه طـريق ينتهى به إلى الزواج .

وألقت الابنة رأسها على صدر أمها وأجهشت بالبكاء وهى تردد.

— انى متعبة يا ماما.. لا تدرين كم اتعذب .

وقالت الأم وهى تربت على كتف ابنتها بكل حنانها :

— لماذا يا ابنتى؟ ماذا يتعبك؟ ماذا يعذبك؟ ماذا ينقصك؟ انى فداك يـا ابنتى.. فداك يـا حبيبتى.. لا يمكن أن أترك فى الـدنيا مـا يمكن أن يتعب أو يعذب حبيبتى .

وقالت الابنة وهى لا تزال تبكى فوق صدرها :

— انك لا تدرين فيم أفكر يا ماما .

وقالت الأم فى لهفة :

— فيم تفكرين يا حبيبة ماما ؟

وقالت الابنة وهى تمسح دموعها :

— أفكر فى الزواج..

ورفعت الأم رأس ابنتهـا عن صدرهـا وقـالت وهى تنظر اليهـا فى جزع:

— زواج وانت مازلت فى السنة الثانية بالجامعة .

وقالـت الابنة فى سخط كأن دمـوعها انقلبت إلى رصـاص تطلقه فى صدر الدنيا .

— ما الفـرق بينى وأنا فى الســنة الثـانيـة أو فى السـنة الرابعـة أو بعــد أن اتخرج.. الهم واحـد.. هم تحملـه كل البنات .

وقالت الأم فى سخط :

— هم لا يرفعـه إلا الزواج.. هذا ما تقصـدينه.. انها المرة الأولى التى أسمع منك هذا الكلام.

وارتفع صوت نبوية الشغـالة من المطبخ تنادى على الأم.. على ست البيت.. وقـامت الأم قافـزة وهى تقول لابنتها :

— انتظرى إلى أن أرى ما حدث فى المطبخ وأعود إليك .

وعادت الابنة تبكى .

جاءت الأم وألقت بنفسها بجانب ابنتها وهى تقول فى لهفة :

— خبرينى.. كيف تفكرين فى الزواج قبل أن تنتهى من سنوات الجامعة؟

ومسحت الابنة دموعها وقالت وهى تتنهد وكأنها تزفر العذاب.

يـا مامـا كل بنات الجامعـة يفكرن فى الـزواج.. حالاً.. اليـوم قبل الغـد.. فإذا لم تجد البنت من تتـزوجـه قـالت انها لا تتـزوج إلا بعـد التخرج.. وإذا وجـدت العريس قالت انها ستتم تعليمها بعـد الزواج.. لاتصدقى أن هنـاك بنتا لا تتمنى الزواج والمهم أن تجد من تتـزوجه.. وفى ستين داهية الجامعة .

وقالت الأم فى عتاب :

— ليس هذا ما اتفقنا عليه يا ابنتى.. لقد اتفقنا على ألا تتزوجى إلا بعـد التخرج.. وأنت تعلمين انـه سبق أن تقـدم اليك أكثر من عـريس واعتذرنا لهم الواحد بعد الواحد.. لا زواج قبل التخرج .

وقالت الابنة ساخرة.

— اعتذرنا لهم لأنهم لم يكن بينهم واحد تنطبق عليه الشروط.. لم يكن بينهم واحد يعجبكم فكنا نتحجج بالجامعـة.. لو كان بينهم واحد أعجبكم لنسيتم الجامعة ولكنتم تقـولون لى ساعتهـا.. اكملى الجامعة بعد الزواج..

وقـالـت الأم وهى تبحلق فى وجـه ابنتهـــا كأنها تحاول أن تكشف سرها :

— منذ متى تفكرين فى الزواج ؟

وقالت الابنة كأنها تعترف أمام قسيس :

— منذ سنـة.. اتنين.. ثلاثة،، ربما طـوال العمر وانا أفكر فى الزواج.. وكل سنة تتعبنى الفكرة أكثر.. وأكثر..

وقالت الأم وهى حائرة:

— لماذا يا ابنتى ؟ مـاذا يتعبك ؟ ماذا ينقصك إلى أن تتـزوجى بعد التخرج بإذن الله ؟

وصرخت الابنة كأنها ضاقت بأمها :

— ينقصنى كل شىء.. ينقصنى استكمال شخصيتى.. ينقصنى الرجل الذى يكون لى.. ينقصنى ارضاء غـريزة الامومة التى أحس بها منـذ كنت ألعب بالعـروسة وأنـا طفلـة.. ينقصنى البيت الذى أكـون سيـدتـه.. انـك يـا أمى لم تجربى الحرمـان لانك تـزوجت وأنت فى السادسـة عشرة من عمرك.. لقد كان جيلكم أرحم بـالبنت من جيلنا.. كان يسرع باشباعها بمجرد استكمالها لطبيعتها كأنثى.. فيحميها من الحرمان ومن الضياع ومن البهدلة .

وقالت الأم كأنها تسخر من نفسها :

— لقد كان يقال عنا اننا جـوار.. يبيعنا أهلنا للمشترى الذى يدفع الثمن الذى يحددونه.. المهر والشبكة.. ثم ينقلـوننا من سرير الطفولة إلى سرير الـزوج.. اسمعى يا ابنتى.. انت تعلمين انى زوجـة سعيدة .. سعيـدة بابيك.. وسعيـدة بك أنت وأخيك.. ورغم ذلك فـاننى تمر علىّ احيانـا خواطر أحس فيها كأن أهلى ظلمـونى عندما زوجـونى وأنا فى السـادسـة عشرة.. لقـد حـرمـونى مـن أزهى فترات عمـرى.. فترة الشباب.. لم اتمتع بمرح الشابات ودنيا الشابات وعواطف الشابات.. تحملت المسئـوليـة ومتـاعب البيت والأولاد قبل أن أعيش انطلاق الشباب بلا مسئولية..

وقالت الابنة ساخرة :

— ولا تنسى أن الشباب له مطالب لا يحققها إلا الـزواج.. إلا إذا امنت بماسبق أن قلتـه لك وهـو أن الحب أصبح يغنى عن الزواج ..

وقالت الأم فى جزع :

— لا.. لا.. أبدا.. لاحب بلا زواج.

ثم مالت الأم على ابنتها وقالت كأنها تستجديها:

— صارحينى يا ابنتى.. هل تفكـرين فى الزواج لأنك أحببت زميلك عصام أو غيره..

وقالت الابنة والصدق فى عينيها :

— أبدا.. لقد قلت لك أنى أحس بحرمان لا يريحنى منه الا الزواج .

وصاحت الأم فى عصبية :

— ولكنك كنت تقولين منذ يـومين أن عقلك يدفعك إلى الهروب من الحب لأن الحب أصبح عاطـلا هذه الأيـام لا يجد طريقـه إلى الزواج.. ولذلك أصبحت لا تستسلمين للحب ولا تفكرين فى الزواج .

وقالت الابنة فى هدوء.

— لقـد كنت أتحدث عن الشبـاب الـذى يعـانى من الازمـة الاقتصادية وأزمة المساكن.. وقد ابتعدت بفكرى عن الشباب.. لم يعد يهمنى أن أتزوج شابا.. لماذا لا اتزوج رجلا كاملا .

وقالت الأم فى جزع :

— ماذا تقصدين بالرجل الكامل..

وقالت الابنة كأنها تحلم :

— رجل أكبر منى بسنـوات.. فى الخامسـة والثلاثين من عمـره أو حتى فى الأربعين.

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— هكـذا انتن كما وصفتكـن.. جيل البضـائع الجاهـزة.. جيل السندوتشـات.. بدل أن تفكـرى فى الزواج من شـاب تكافحين الحياة معه.. تـريدين أن تتزوجى رجلا جاهـزا لا يفرض عليك متاعب الكفاح حتى لو كان عجوزا .

وقالت الابنة كأنها تلقى محاضرة :

— يـا أمى هذه طبيعـة تكوين الانثى والـرجل.. وقد اثبت علماء الفسيولوجيا أى علم طبيعة الانسان

أن أصلح ما يجمع بين الرجل والمرأة هـو أن يكون فارق العمر بينهما عشر سنـوات.. أى أن يكـون الـرجـل أكبر من البنت بعشر سنـوات.. وأنت تـزوجت بـابـا وعمـرك ستـة عشر عاما وكـان عمـره خمسـة وعشرين.. فارق تسع سنوات.. ولـذلك استمر التجاوب بينكما.. ولكن عمـر الخامسـة والعشرين لم يعـد يـؤهل الشـاب الآن للـزواج.. لأن الزواج شركـة تحتاج إلى رأس مـال.. والشاب فى الخامسـة والعشرين لا يكون قد كون رأس المال الكـافى.. فلا مانع من أن نتركه حتى يصل إلى الخامسة والثلاثين ثم نتزوجه..

وقالت الأم فى سخط :

— هذا زواج محكـوم عليه بالانهيـار.. بالفشل.. تصورى عنـدما تكون المرأة فى الاربعين أى فى عـز انوثتهـا وفى عز اقبـالها على الحياة وزوجها فى الستين مـن عمره.. على المعاش.. انتهت وظيفتـه.. وانتهت رجولته.. وانتهى حماسه للدنيا .

وقاطعتها الابنة ساخرة :

— يامامـا انك لا تعيشـين جيلنا.. البنات الآن يعجبن بـالعواجيز.. أصبح أكثر مـا يغرى البنت فى الـرجل هو الشعـر الابيض.. حتى انى اشك فى أن بعض الشبان يصبغون خصلات شعـرهم باللون الأبيض بعد أن كـان العواجيز هم الذيـن يصبغون شعرهم باللـون الأسود.. وآه لو رأيت الاستاذ الدكتور بسيونى..

وقالت الأم فى قرف :

— من هو بسيونى هذا ؟

وقالت الابنة وهى تقفز واقفة :

— سأحكى لك عنه بعد أن أعود من الجامعة .

وخرجت.. وأمها تتبعها بعينين حائرتين تائهتين.

* * *

عـادت الابنـة من الجامعة واستقبلتهـا أمهـا فى لهفة وأجلستها بجانبها قائلة :

— ما حكاية الـدكتور بسيونى التى قلت لى عنها قبل أن تخرجى إلى الجامعة ؟

وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة كبيرة :

— يا ماما على مهلك.. انتظرى إلى أن استريح ..

وقالت الأم فى عتاب حنون :

—أجلى راحتك.. واحكى لى.. لقـد تـركتنى فى الصبـاح كما تتركنى مسلسلات التليفزيون دون أن أفهم شيئا .

وقالت الابنة وهى تتنهد كأنها تتحسر على حال الدنيا :

— المهم ليست حكايـة الدكتور بسيونى.. المهم هى حكـاية بنات الجامعـة الـلاتى أصبحن يفضلن الـرجل الكـامل.. وكلمـة «الـرجل الكامل» أصبحت هى التعبير الجديد لكلمة «العجـوز» بنات هذه الأيام يفضلن العـواجيـز.. ويـذبن فيهم حبًـا وعشقـاً.. العجـوز على الاقل يستطيع الزواج.. والـدكتور بسيـونى هو أستـاذ عندنـا فى الجامعة.. وهو عجوز.. يقـال انه فى الاربعين وربما فى الخامسة والاربعين.. انما يجنن يا مامـا.. شعره الأبيض.. وسمار لونه.. وعينـاه الهادئتان كأنه يتحدث بهما إليك.. وقوامه الطويل كقوام رمسيس الثانى.. و..

وقاطعتها أمها فى حدة ضاحكة :

— جـرى ايـه يـا بنت.. انك تتغـزلين فيــه.. عيب .. وادخلى فى الموضوع.

وقالت الابنة وهى هائمة مع كلماتها:

— أصلـه يجنن فعلا.. المهم كـل البنات.. يـذبن فيــه.. ويجرين وراءه.. ويتمحكن فيــه.. وكل بنت عندها سؤال له.. سـؤال علمى طبعا..وكل بنت تريد درسا خصوصيا..

وقاطعتها الأم فى جزع :

— وأنت أيضا تتمحكين فيه ؟

وقالت الابنة فى حسرة :

— لا.. ولكنى اتمنى لو بدأ هو.. وقالت الأم فى دهشة :

— يبدأ بماذا ؟

وقالت الابنة كأنها تلوم أمها على جهلها:

— يبدأ بالتمحك بى ومغازلتى.. ولكنه لا يبدأ مع أحد أبدا .. انه مغرور.. ينتظر أن تبدأ البنت وتشجعه إلى حد الارتماء عليه.. يحاول أن يحتفظ بشخصية الاستاذ المحترم.. إلى أن وقع اخيرا.. وقع فى سميرة.. انها طالبة معنا فى الجامعة.. ولكنها بنت شاطرة استطاعت أن تصطاد الدكتور بسيونى.. كل الجامعة الآن تتحدث عن بسيونى وسميرة.. هل تعرفين كم عمر سميرة.. تسعة عشر عاما.. فى عمر ابنته لو كان له ابنة.

وقالت الأم فى لهفة :

— هل هو متزوج ؟

وقالت الابنة بسرعة :

— لا.. ليس متزوجا ..

وعادت الأم تسأل :

— وهل كان متزوجا ؟

وقالت الابنة ضاحكة :

— لا.. انه لا يزال بكرا.. كالبنت العذراء..

وقالتالأم فى لهفة : وهل سيتزوج سميرة؟

وقالت الابنة وفى عينيها نظرة حادة كأنها تحسد زميلتها :

— يقال انه سيخطبها بعد الامتحانات..

وقالت الأم ساخرة :

— لا أظن ..

وقالت الابنة فى دهشة :

— لماذا ؟

وقالت الأم الساخرة :

— ما دام الرجل قد تعدى الاربعين دون زواج فمعنى هذا أنه ليس فى حاجة إلى الزواج .

وقالت الابنة معترضة :

— لماذا يا ماما.. ربما يصادف البنت التى تقنعه بالزواج.. أو ربما كانت فى حياته صدمة حب حرمته من الزواج .

وقالت الأم وهى تعتدل فى جلستها كأنها تهم أن تلقى درسا.

— اسمعينى يا ابنتى.. ان الرجل ليس من طبيعته الزواج.. الرجل لا يريد الزواج ولكنه يريد المرأة.. فاذا وجد المرأة استغنى عن الزواج ولذلك فهم ينصحون البنت التى تريد الزواج بألا تعطى الرجل قبل الزواج ما يريده منها بعد الزواج.. لماذا يتزوجها مادام يأخذ كل شىء بلا زواج.. هذا بعكس المرأة.. فطبيعة المرأة تفرض عليها الزواج.. لأن فى غريزتها الامومة ولكى تكون أما فالمجتمع يفرض عليها الزواج والا ضاع أولادها فى المجتمع واصبحوا أولاد حرام.. وهذا بخلاف الرجل فالابوة ليست غريزة فى الرجل انها عاطفة مكتسبة.. أى أن الرجل لا يحس بأولاده إلا بعد أن يولدوا ويعيشوا معه.. فإذا لم يولدوا فهو ليس فى حاجة إليهم.. ليس كالمرأة تحس بالأولاد وهم فى بطنها.. وكذلك فإن الزواج بالنسبة للمرأة مركز اجتماعى تستكمل به شخصيتها الاجتماعية فإذا لم تتزوج اعتبرت شخصية ناقصة وأطلقوا عليها لقب .. عانس.. أما الرجل فليس فى حاجة إلى الزواج ليستكمل شخصيته ولا يخاف من أن يتهم بأنه عانس.. ولهذا كله.. فإن استاذك الدكتور بسيونى مادام قد وصل إلى هذه السن دون زواج فلا شك انه تعود أن يحصل على المرأة بلا زواج.. فإذا كان قد حصل على زميلتك سميرة فلن يتزوجها..

وصاحت الابنة معترضة .

— انك تحصرين معنى الزواج فى العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة.. والجنس لم تعد له قيمة فى الدول المتحضرة.. والجيل الجديد لم يعد يخاف الجنس كما تخافينه..

وقالت الأم وكأنها تصرخ فى وجه ابنتها :

— الدول التى تسمينها متحضرة وصلت إلى حد

اعفـاء المرأة من مسئولية غريزتها كأم.. تحملت عنها مسئولية أولادها.. تلد وتعطى أولادها للحكومة لتنشئهم وتربيهم.. والمجتمع هناك أعفى المرأة من شخصية الزوجة.. وألغى لقب عانس كاتهام يوجه إليها.. هذا لم يحدث عندنا..

وقفزت الابنة واقفة وقالت وهى تجرى مبتعدة.

— المصيبة عندنا أن الأمهات يعشن فى عالم والبنات فى عالم آخر.

وتتبعتها الأم بعينين مشفقتين قائلة :

— ربنا يخليك ويحميك يا ابنتى من الوصول إلى العالم الآخر.

قالت الأم لابنتها وهى تنفث انفاسها فى زهق :

— يا ابنتى لا تحيرينى معك.. انك منذ قلت لى انك تفكرين فى الزواج وأنا لا أنام.. وأعيش فى رعب خوفا من أن تدخلى على يوما وفى يدك عريس.. وكلما ناقشتك فى الموضوع دخلت فى كلام فلسفى لا أخرج منه بشىء.. اريحينى يا ابنتى وقولى لى .. هل تريدين فعلا الزواج الآن وقبل ان تنتهى من الجامعة..

وقالت الابنة وكأنها تهم بالبكاء :

— لا أدرى .

قالت الأم فى حدة :

— كيف لا تدرين ما فى نيتك ؟

وقالت الابنة وهى تخفض رأسها كأنها تخفى حيرتها :

— لأنى لا أستطيع أن أقرر ما أنوى عليه.. احيانا اقرر الزواج فورا والاستسلام لأول عريس يطرق الباب.. وأحيانا أرفض مجرد التفكير فى الزواج وأقرر الانتظار إلى ان اتخرج فى الجامعة حتى لو تقدم إلىّ ملك الملوك .

وقالت الأم وهى تضغط على اعصابها حتى تحتفظ بهدوئها :

اسمعى يا ابنتى .. أنت تعرفين أن هناك نوعين من الزواج.. زواج نتيجة حب وزواج نتيجة تحكيم

العقل.. وقد سبق أن قلت لى إنه ليس فى حياتك قصة حب وانك تهربين من الحب. اذن فلم يبق أمامك إلا زواج العقل.. والعقل الراجح السليم يقول بألا تتزوج البنت إلا بعد أن تتم تعليمها .

قالت الابنة فى فتور :

— لماذا ؟

قالت الأم فى عصبية .

— لماذا ماذا ؟

وقالت الابنة فى لهجة ساخرة :

— لماذا لا تتزوج البنت إلا بعد أن تتم تعليمها.. هل هو الشرع أم القانون أو مجرد التحايل . والعياقة بأن لك بنتا متعلمة .

وتنهدت الأم كأنها تستعين بالله وقالت :

— انت تعرفين لماذا..ان البنت بعد ان تتم تعليمها تستطيع أن تعمل وتكسب.. وبذلك تستكمل شخصيتها وتصبح فى نفس قوة زوجها.. تصل إلى حلم المساواة بين الرجل والمرأة.. المساواة الثقافية والانتاجية والاجتماعية.. فلا يستطيع الزوج أن يتحكم فى الزوجة بلقمة العيش.. إذا تركها تشردت وماتت من الجوع.. تصبح الزوجة شيئا آخر مثل دراجة أو سيارة يركبها الزوج نظير ايجار شهرى يدفعه من مرتبه.

وضحكت الابنة وقالت :

— ولكنك يا ماما لم تتمى تعليمك ولا تعملين خارج البيت ورغم ذلك فلا اعتقد انك دراجة.. أو سيارة يركبها أبى.. انك زوجة سعيدة .

وصرخت الأم.

— دعك من أبيك.. ولا تقارنى نفسك بى.. ان سعادتى مع ابيك مجرد صدفة كأنى كسبت البريمو فى ورقة يانصيب.. وأيامكم غير أيامنا حتى البريمو هذه الأيام لم يعد يعطى ما كان يعطيه على أيامنا.. والزواج الآن لا يمكن أن يقوم على القسمة والنصيب. انما يقوم على مقاييس العقل.

وقالت الابنة وهى لا تزال تضحك :

— هل تريدين أن تقولى أن على ايامكم لم يكن لكنَّ عقل..

وعادت الأم تصرخ .

—اخرسى.. كنا أعقل وأشطر منكن ولكن الدنيا تغيرت.. كان الرجل عندما يتقدم للزواج يسأل عن قيمة أبى البنت.. عن مركز الأب الاجتماعى وعن مستوى دخله.. لا لمجرد أن تسهم زوجته فى المصاريف اعتمادا على دخل ابيها.. ولكن لأن البنت لم يكن لها قيمة إلا بأبيها.. أما الآن فالرجل لا يكتفى بالسؤال عن الأب بل يسأل أولا عن ماذا تعمل البنت.. عن الوظيفة التى تتولاها.. وعن قيمة مرتبها.. وعن مستوى تعليمها.. لأن قيمة البنت أصبحت فى شخصيتها الذاتية.. هى التى تفرض شخصيتها .

وقالت الابنة وهى تهز كتفيها بلا مبالاة :

— الرجل هو الرجل على ايامكم وأيامنا.. لم يتغير.. كان زمان يسأل عن أبى البنت حتى يضمن دخلا ينهبه ويرثه أولاده ولكن مستوى الآباء الاقتصادى انخفض.. أصبح مرتب وكيل الوزارة لا يكفى بيته ولا يفيض منه شىء ليساعد به ابنته بعد أن تتزوج.. فبدأ الرجل يبحث عن الفتاة التى تعمل وتكسب لينهبها بعد أن كان ينهب أباها.. ومثلا.. أن نسبة تعدد الزوجات على أيامكن كانت مرتفعة. كان من الوضع الطبيعى المعترف به اجتماعيا أن يتزوج الرجل مثنى وثلاث ورباع.. والآن انخفضت نسبة تعدد الزوجات.. لماذا.. هل لأن الرجل تغير.. أبدا.. إنما لأن الحالة الاقتصادية اصبحت لا تسمح للرجل بأن ينفق على أكثر من بيت وأكثر من زوجة.. بدليل أن الرجل الغنى القادر لا يزال فى هذه الأيام يتزوج مثنى وثلاث.. وبدليل أن نسبة العلاقات الجنسية الحرام قد ارتفعت سواء بين المتزوجين أو غير المتزوجين..

قالت الأم فى غيظ كأنها تعجز أمام منطق ابنتها ..

— ولكن على أيامنا كانت الزوجة تضطر أن تستسلم لزوجها إذا تزوج أخرى لأنه لم يكن لها ملاذ آخر غير هذا البيت وهذا الرجل.. اما اليوم فالزوجة لا يمكن ان تحتمل زوجة أخرى بل تترك البيت والزوج حتى قبل أن يطلقها لأنها تستطيع أن تعتمد على نفسها.. لأنها تعمل.. لأنها تكسب.. ان المرأة الآن اقدر على الاحتفاظ بكرامتها ..

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى اشفاق .

— يا ماما.. انك لا تعلمين إلى أين يتطور الوضع الاجتماعى ولا إلى أين يتطور فكر البنات.. ان تحت المظاهر التى نعيشها والشعارات التى ننادى بها فكرا جديدا يرفض هذه المظاهر وهذه الشعارات.. انه تطور إلى حق جديد من حقوق المرأة ..

وقالت الأم كأنها تسخر من ابنتها .

— إلى أين تطورت يا ابنتى.. خبرينى.. لا حرمنى الله من فلسفتك .

وقالت الابنة مبتسمة :

— ان كل ما أحس به من تطور الآن هو أن رأسى يمزقه الصداع.. كفى كلاما اليوم يا ماما.. سأنام ..

وقامت الابنة إلى غرفتها وأمها تصيح وراءها ..

— لا تأخذى اسبرين كعادتك..

* * *

قالت الأم لابنتها وبين شفتيها ابتسامة ساخرة .

— لقد قلت لى ان فكر البنات يتطور إلى تفسير جديد لحقوق المرأة ..فما هو هذا التطور يا حبيبة أمك .

وقالت الابنة وهى تنظر بعينيها إلى بعيد كأنها تبحث عن مستقبلها.

ان بعض المفكرين يقولون أن المرأة ظلمت نفسها عندما طلبت المساواة بالرجل.. لقد اكتشفت أنها

أصبحت تحمل مسئوليتين وتعيش حياتين..مسئولية وحياة المرأة ومسئولية وحياة الرجل.. فى حين أن الرجل ظل محتفظا بمسئولية وحياة واحدة هى مسئوليته وحياته كرجل.. ان المرأة عندما وصلت إلى المساواة بالرجل لم تطلب أن يحمل ويلد ليتساوى معها فى مسئولية الانجاب.. لا تستطيع أن تنقل اليه غريزة الامومة.. ولأنها..وحدها التى يمكن أن تكون أمًّا فهى تحمل مسئولية البيت الذى ستلد فيه أطفالها.. فأصبحت المرأة العاملة تعمل داخل البيت وتعمل خارج البيت.. تشقى وتتعب فى الداخل والخارج..

وقالت الأم كأنها تتباهى بذكائها :

— ولكنهم يقولون أن الرجل الحديث أصبح يشترك فى أعمال البيت بجانب زوجته..

وقالت الابنة فى هدوء :

— أبدا.. أن الرجل يبقى دائما كما هو.. الحديث كالقديم.. وإذا اشترك فى اعمال البيت فإنه يشترك لمجرد التسلية بدلا من أن يلعب طاولة أو كوتشينة.. دون احساس بالمسئولية.. تبقى مسئولية البيت على رأس الزوجة وحدها.. ولم تنجح تجربة اشتراك الرجل فى أعمال البيت حتى فى أوروبا وأمريكا مما أدى هناك إلى ارتفاع نسبة النساء اللاتى يتفرغن لأعمال البيت ويرفضن العمل خارج البيت.. بل أصبح التفرغ للبيت قضية من القضايا التى تطالب بها المرأة..

وقالت الأم فى دهشة :

إذن لماذا يملأ النساء العالم بالصراخ مطالبات بالمساواة بالرجل مادامت المرأة تريد أن تعود إلى البيت وتعيش فى خدمة الرجل كما عشت أنا..

وقالت الابنة وهى تبتسم كأنها تشفق على أمها :

— يامامـا لقد بدأت المساواة تتخذ تفسيرا جديدا.. أصبحت المساواة هى مساواة فى تقدير العمل.. فعمل المرأة داخل البيت يساوى عمل الرجل خارج البيت.. والزوجة تعتبر امرأة عاملة

بمجرد الزواج .. عاملة فى البيت .

وقالت الأم كأنها تتحدى ابنتها :

— ولكنها تبقى دائما عالة على زوجها وتحت رحمة ما يكسبه ويدفعه لها.

وقالت الابنة فى حدة كأنها أهينت فى كرامتها..

— أبدا الزوجة لا تكون أبدا عالة على زوجها.. والزوج لا يدفع عطفا أو احسانا ولكنه يدفع نظير عمل.. وعمل تقوم به الزوجة.. الزوج ليس صاحب فضل على الزوجة أكثر من فضل الزوجة عليه.. انهما يتقاسمان مسئوليات الحياة.. لذلك فلم يعد يكفى أن يدفع الزوج مصروفات البيت والأولاد بل يجب أن يخصص للزوجة دخلا خاصا تتصرف فيه وحدها.. أى يخصص لها مرتبا باعتبارها امرأة عاملة.

وقالت الأم وهى تهز رموش عينيها كأنها ترفض كلام ابنتها :

وأين الزوج الذى يرضى أن يدفع مرتبا لزوجته ؟ !

وقالت الابنة وهى لا تزال محتدة :

— انهم يدفعون.. وان كانوا يسمون المرتب باسم مصروف يد.. الزوجات أصبحن يطالبن بأكثر من المرتب.. أصبحن يطالبن بأن يكون لهن معاش.. أى يدفع لهن الزوج أقساط هيئة التأمين إلى أن يبلغن سن الستين ويحصلن على المعاش.. كأى امرأة عاملة .

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— وما حاجة الزوجة إلى المعاش ..

وقالت الابنة كأنها تتابهى بآرائها :

— لتحتفظ بحقها ..

وقالت الأم وهى تزداد قرفا..

— أى حق ما دامت تعيش عالة على زوجها..

وعادت الابنة تحتد قائلة :

— يامامـا لا تظلمنى نفسك.. انك لم تكونى أبدا عالة على بابا.. كيف كان يمكن أن تستمر الحياة

بأبى لو لم تكونى معه.. ثم أن الزوجة فى الجيل الجديد أصبحت مسئولياتها أكبر.. لم تعد مسئولية الزوجة مقصورة على إدارة البيت والمطبخ والأولاد.. انى أعرف زوجات يمسكن بدافتر الحسابات لازواجهن ويحسابن الضرائب نيابة عنهم.. زوجات يجعلن من بيوتهن مجالات لاجتماعات عمل الزوج.. أصبح من واجب الزوجة أن تحمل عن زوجها كثيراً من تفاصيل الحياة حتى تتركه يتفرغ بفكره ونشاطه للمسائل الرئيسية من عمله وحياته.. ولذلك أصبحت البنت فى حاجة للعلم لا لتعمل خارج البيت بل لتعمل داخل البيت..

وقالت الأم وهى لا تزال قرفانة :

— كل هذا الكلام فاض.. كل ما افهمه هو أنى ملك لزوجى.. وإذا ضاع ضعت معه.. ولذلك عشت اتمنى أن أراك وقد تخرجت فى الجامعة وعملت حتى تستطيعى الاعتماد على نفسك ..

وقالت الابنة ساخرة :

— لا أستطيع أن ابنى تفكيرى فى مستقبلى على الخوف.. ان أعمل خوفا من أن يضيع زوجى.. وأن أتمتع بالسباحة حتى لا أغرق.. وألا أخرج من البيت حتى لا تصدمنى سيارة ..

وقالت الأم مبتسمة كأنها تحاول أن تقنع ابنتها :

— انظرى يا ابنتى إلى أمينة السعيد.. انها ناجحة فى عملها وناجحة فى بيتها كزوجة.. لقد كنت أحسدها طول عمرى وأتمنى أن تكونى مثلها.. وصاحت الابنة :

— لا تقولى أمينة السعيد أو عائشة راتب أو سهير القلماوى أو.. أو.. أن هذا الجيل لم يتعلم ويعمل تحديا للرجل أو لضمان الحماية من تصرفات الزوج.. لقد تعلمن وعملن لأنهن كن يردن العلم والعمل.. كن موهوبات وكافحن حتى يمارسن مواهبهن.. ولا اعتقد أن أيا منهن يسرها أن تتشبه بالرجل.. وقد كتبت المرحومة فاطمة

اليوسف فى مذكراتها أنها كانت تثور عندما يصفها أحد بأنها رجل.. حتى لو قالوا لها إنها خير من مائة رجل.. كانت تصيح بأنها تعتز بأنها امرأة ولا تقبل أن تنزل إلى مستوى الرجال.. وعيب بنات هذا الجيل انهن يشبهن أنفسهن بالرجال ويتباهين بأنهن حققن المساواة بالرجل.. ويجهلن أنهن يظلمن أنفسهن بهذه المساواة .

ونظرت الأم إلى ابنتها طويلا كأنها حائرة فيها ثم قالت :

— هناك موضوع آخر.. الحالة الاقتصادية.. الفقر .

وقفزت الابنة واقفة وقبلت امها قبلة سريعة وهى تجرى مبتعدة.

— كفانا اليوم نقاشا يا ماما.. دعينا ليوم آخر .

قالت الأم لابنتها فى عصبية :

— لاتنكرى أن الحالة الاقتصادية أصبحت تفرض على الزوجة أن تعمل خارج البيت حتى تكسب وتساهم مع زوجها فى مصاريف الحياة.. البيت الآن لم يعد يكفيه ما يكسبه الزوج وحده.. افرضى أنك تزوجت زميلك عصام فهل تستطيعين أن تعيشى معه بمرتبه حتى لو أدمنت حبوب منع الحمل طول عمرك لتوفرى مصاريف الأولاد..

وقالت الابنة ساخرة :

— هذا موضوع قديم ..

وصاحت الأم فى وجهها :

— ماذا تقصدين بأنه موضوع قديم.. انه موضوع كل يوم ..

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— أقصد أن الحالة الاقتصادية كانت تدفع الزوجة إلى العمل منذ فجر التاريخ.. والفلاحة المصرية تعمل مع زوجها فى الغيط منذ آلاف السنين لأن الحالة الاقتصادية تفرض عليها العمل.. والحالة الاقتصادية كما قلت لك تفرض الحالة الاجتماعية.. فلم يظهر بين الفلاحين مثلا مشكلة الاختلاط بين المرأة والرجل.. ولا مشكلة الحجاب والسفور.. ولا مشكلة تحرير المرأة ولا بقية المشاكل التى تواجهها

المرأة فى المدن لأن الحالة الاقتصادية بين طبقة الفلاحين تختلف عنها بين طبقة سكان المدن. فتختلف معها الحالة الاجتماعية..

وقاطعتها الأم قائلة :

— ان متاعب الحصول على القرش أصبحت واحدة بين بنات المدن وبنات الريف .

وقالت الابنة فى اصرار :

— ولكن ليست الحالة الاقتصادية هى التى يدور حولها الكلام عن حق البنت فى العمل.. طبعا لو احتاجت الزوجة لأن تعمل فيجب أن تعمل.. ولكن الزوجات يعملن الآن خارج البيت دون أن يكن فى حاجة للعمل.. بحجة المساواة بالرجل.. أو بحجة استكمال الشخصية حتى لا يتحكم فيها الرجل وحتى لا تجوع إذا طلقها الزوج.. ولكن السبب الرئيسى هو العياقة وملء الفراغ والتسلية .. بدل أن تذهب لزيارة جارتها تذهب لزيارة زملائها فى المكتب أو الدكان الذى تعمل فيه..

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها كأنها قرفانة من ابنتها :

— مهما كانت الحجة أو السبب فإن الزوجة عندما تعمل تزيد من دخل الأسرة وتسهم فى مصاريف البيت..

وقالت الابنة وهى تهز كتفتها ترفض كلام أمها:

الزوجة عندما تعمل تزيد من مصاريف البيت ومن متاعب الأسرة.. انها تفقد سيطرتها الكاملة على البيت.. وتفقد درايتها الكاملة بالسوق والأسعار.. وتصبح عبدة للشغالة التى تتركها فى البيت.. وتدفع مصاريف دار الحضانة أو مصاريف التاكسى الذى تحمل فيه أولادها كل يوم لتركهم عند أمها حتى تنتهى من عملها.. ان البيت عمل فإذا تركت الزوجة العمل فإنها مضطرة أن تدفع لمن يقوم بالعمل بدلا عنها.. كأى عمل آخر..

وقالت الأم فى قرف :

— البيت ليس ورشة يدور فيها العمل ليل نهار.. ساعة واحدة وشغل البيت ينتهى.. وساعة أخرى وشغل المطبخ ينتهى والأكل جاهز..

وقالت الابنة وهى تبتسم لتهدأ ثورة أمها :

— يا ماما لا تقولى هذا الكلام وأنت ست الستات.. ان شغل البيت ليس النظافة والمطبخ فقط.. ان الزوجة مادام عندها وقت فراغ تستطيع أن تصنع المربى وتكلفها أقل من السعر الذى تشتريها به من السوق.. وتستطيع أن تصنع الحلوى.. الجاتوه والتورتة.. وتستطيع أن تصنع المخلل.. كل ذلك وهى فى بيتها.. فى المصنع أو الورشة التى تملكها.. بل أنت تعرفين أن هناك زوجات يصنعن الحلوى فى البيت ويبعنها لأكبر محلات الحلوى.. وزوجات يصنعن ملابس التريكو أو المناديل بأويه ويبعنها.. المهم أنها لا تفقد وجودها فى البيت وسيطرتها عليه..

وقالت الأم وكأنها فى يأس من ابنتها :

— عجيبة أن أسمع هذا الكلام منك.. من بنت الجيل الجديد وبنت الجامعة.. انك تتكلمين كأن أمك التى أوجدتك هى التى تتكلم.. لقد كنت أحلم بأن تعيشى حياة غير التى عشتها..

وقالت الابنة وهى تقترب من أمها وتدللها :

— لقد قلت لك انه حدث تطور فى تفكير الجيل الجديد.. لقد اكتشفنا أن بنات الجيل القديم كن أذكى وأشطر منا.. وربما تسمعين قريبا هتافا فى الجامعة يقول : البنت والرجل فى الشارع.. أى أن تكون مسئولية البنت هى العمل داخل البيت ومسئولية الولد هى العمل خارج البيت.. ولهذا فقد ارتفعت نسبة خريجات الجامعات اللاتى تفرغن للبيت.

وقالت الأم كأنها تهم بأن تبكى حسرة على ابنتها:

— انتهينا.. اتركى الجامعة من اليوم ويكفيك الثانوية العامة..واجلسى جانبى فى البيت فى انتظار ابن الحلال.. وربنا يستر..

وقالت الابنة كأنها أهينت :

— لايمكن.. مستحيل .

وقالت الأم فى سخط :

— لماذا لا يمكن.. انك منذ اسابيع وأنت تدوشين دماغى بالكلام عن الزواج.. وتلقين على درسا فى الفلسفة لتقنعينى بأن من صالح البنت أن تبقى فى البيت.. اذن.. بدل أن تضيعى الوقت فى الجامعة ضيعيه أمام المرآة لتتجملى فى انتظار ابن الحلال. وكل يوم تذهبين فى زيارة لعلك تلتقين بمن يعجبك .

وقالت الابنة ضاحكة كأنها تخفف عن امها :

— العرسان فى الجامعة..

وقالت الأم دون أن تضحك :

— لا.. اللى فى الجامعة لسة عيال صغار.. لا ينفعون للزواج..

وقالت الابنة وهى لا تزال تضحك :

هناك أيضا الأساتذة والمعيدون .

وقالت الأم ساخطة :

— انهم متزوجون أو من هواة جمع الطالبات.. المهم أن تتركى الجامعة مادمت لا تبنين مستقبلك عليها..

وقالت الابنة وهى تقفز مرحة بعيدا عن أمها :

— الجامعة ليست مستقبلا ..

وقالت الأم القرفانة :

ماذا تكون اذن ؟ .

وقالت الابنة وهى تجرى خارج الباب.

— تعالى..

قالت الابنة لامها وهى تبتسم لها فى حب

— هل تعرفين أن الدكتورة فاطمة تحسدك يا ماما..

وقالت الأم وكأنها تتواضع :

— تحسدنى أنا.. على ماذا يا حسرة.. أن الدكتورة فاطمة لا ينقصها شىء.. انها فى غنى عن الحسد..

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها :

— تحسدك على متعة الحب ..

وقالت الأم وهى تفتعل الشخط فى ابنتها :

— عيب يا بنت.. ماذا تقصدين بهذا الكلام ..

وقالت الابنة ضاحكة :

— أقصد أنها تحسدك لأن عندك الوقت الذى تعطين فيه الحب حقه.. أقصد حب بابا طبعا .

وقالت الأم وهى تبتسم فى حياء :

— إنى أعرف أن الدكتورة فاطمة تحب زوجها وزوجها يحبها.. انهما زينة الأزواج .

وقالت الابنة وهى تتنهد كأنها تشفق على الدكتورة فاطمة :

— ولكن ليس لديها ولا لدى زوجها الوقت لاعطاء الحب حقه..

وقالت الأم وهى تنهر ابنتها :

— إنك تتكلمين كأنك تعيشين معهما.. من أدراك إذا كانا يعطيان للحب أو لا يعطيان ..

وقالت الابنة فى حماس كأنها تتفاخر بما لديها من أخبار :

— ان صديقتى كوثر ابنة الدكتورة فاطمة هى التى تحكى لى.. لقد قالت لى انها تحس بأن أمها غلبانة.. وأبوها غلبان أيضا.. فهى تعود من عملها متعبة وتلقى نفسها على المقعد أو على السرير ولا تطيق أن تتحرك أو تتكلم.. وبعد أن تسترد أنفاسها وتستريح تنزوى على مكتبها لتراجع ما عليها من

عمل.. فإذا زهقت قرأت قصة أو جلست أمام التليفزيون.. وكذلك أبوها انه يعود من عمله متعبا ولا يجد من يستقبله ليريحه ويخفف ويرفه عنه فيسقط هو الآخر على مقعده إلى ان يستريح ليعود ويعمل على مكتبه.. انه مظلوم وزوجته مظلومة.. حتى فى أيام الاجازات.. انهما لا يخرجان إلى نزهة أو إلى سهرة.. ولا يتفرغ أحدهما للآخر.. بل كل منهما ينتهز الاجازة حتى يريح نفسه من خروج كل يوم ومن العمل ويهب نفسه للنوم.. الاجازة هى اجازة للنوم لا للنزهة.. وقد قالت لى كوثر ان أمها اعترفت لها بأنها ظلمت نفسها وظلمت زوجها عندما وهبت نفسها للعمل.. وانها تحسدك .

وقالت الأم وكأنها تبعد عن نفسها الحسد .

— لماذا لا احسدها أنا على شهرتها وعلى ماتكسبه وعلى اللقب الذى تحمله.. دكتورة.. ان أمنيتى الوحيدة بعد أن حرمت من أن أكون دكتورة هى أن أكون أم دكتورة أو أم دكتور.. إذا كنت تحبيننى يا ابنتى فخذى لنفسك الدكتوراة.. لتكونى دكتورة.. وأكون أم دكتورة.. من أجل خاطرى..

وقالت الابنة ساخرة:

— ان الدكتورة فاطمة تفكر كل يوم فى الاستقالة من عملها وربما كانت تفكر أيضا فى التنازل عن لقب دكتورة.. حتى تتفرغ لمسئولية الحب.

وقالت الأم ساخطة :

— ماذا ينقصها.. ان بيتها يشرح القلب.. وأولادها ـ الحمدلله ـ ناجحون.. وعندها طباخ وشغالة.. وقد فتح الله عليها وعلى زوجها حتى انى سمعت انهما سيشتريان عمارة .

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها كأنها قرفانة من عقلية أمها :

— ياماما أن مسئولية الحب ليست هى مجرد

مسئولية البيت أو الأولاد لطبخ وكسب الفلوس.. ان مسئولية الحب هى مسئولية تحقيق السعادة سعادة الروح والعاطفة.. سعادة المتعة.. سعادة الضحكة.. سعادة نسيان الهموم.. وهى مسئولية تفرض التفرغ.. فكيف تستطيع الزوجة التى تعمل خارج البيت أن تتفرغ لهذه المسئولية.. انك فى كل يوم وقبل ساعة من عودة بابا إلى البيت تدخلين الحمام وتخرجين وأنت على سنجة عشرة.. قمر ورائحة الكولونيا تفوح منك كأنها تزفك إلى حبيبك.. لماذا كل هذا؟ حتى تسعدى بابا.. ولكن الدكتورة فاطمة لا تجد وقتا لتدخل الحمام.. انها تلتقى بزوجها وكلاهما عائد من العمل.. يراها بعبلها.. وربما كانت تحيط بها رائحة تراب المكتب أو تراب الشارع.. وأنت تجلسين بجانب بابا تحكين له الحكايات والأخبار حتى لو كانت اخبارا مغشوشة.. لمجرد تسليته.. وتسلطين عليه إغراءك حتى تخرجى به فى زيارة أو فى فسحة لتريحيه من عذاب التليفزيون.. أما الدكتورة فاطمة فهى تعود إلى البيت متعبة.. لا تطيق أن تقول لزوجها كلمة أو تسمع منه كلمة.. وكلاهما لا يفكر فى نزهة أو زيارة فالخروج من البيت بالنسبة لهما هو الخروج إلى العمل.. انها تعيش غلبانة محرومة ومن حقها أن تحسدك.. وأنا معجبة بك ياماما.. انك تتحملين مسئولية الحب.. شىء واحد اغلطك فيه.. انك تتطرفين فى الحب إلى حد انك تغسلين قدمى بابا بالماء الساخن.. غير معقول.. ليس هذا هو الحب.. انه الذل .

وقالت الأم كأنها تدافع عن نفسها :

— انى أغسل قدمى بابا لأنه يكون فى أحسن حالاته وأنا اغسلها له.. انى أحس كأنى أدلل طفلى.. أحس كأنى أعد الماكينة التى املكها حتى تخدمنى أحسن.. انهم يقولون أن الفلاحات الفقيرات هن اللاتى يغسلن أقدام ازواجهن.. ابدا .. ليس لأنهن فلاحات وفقيرات ولكن لأنهن أذكى من غيرهن من

النســاء.. يعـرفن كيف يحتفظن بـــالـرجل . أى بـا لماكينـة صـالحة لخدمتهن .

وقالت الابنة وعيناها تبرقان بذكائها ..

— الطبقـة الغنيـة هى التى تستطيع الـزوجات فيهـا أن يتفـرغن لمسئولية الحب.. لأنهن لسن فى حاجة إلى العمل.. لذلك فإنى سأطالب الثلاثين نـائبـة الـلاتى سيـدخلن مجلس الشعب بأن يفـرضن على الحكومة أن تعتبر أن مجرد الـزواج يعتبر وظيفة اجتماعيـة تستحق مرتبـا كمرتب أى وظيفة حتى تستطيع الزوجـة أن تتفرغ للحب دون حاجة إلى العمل خارج البيت .

وقالت الأم ساخرة :

—وقد قررت أنت التفرغ لمسئولية الحب..

وقالت الابنة كأنها يائسة :

— لا.. سأتفرغ للدكتوراة ..

وقالت الأم فى دهشة :

— هل عدلت عن رأيك .

وقالت الابنة :

— لا.. ولكنى لم أجد الحب الذى أتفرغ له..

قالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها من خلال ابتسامة شامتة :

— أين صديقك عصام.. لقد مضى أسبوعان ولم يأت ليذاكر معك كما هى العادة..

وقالت الابنة وهى تضحك ضحكة مسكينة :

— لقد قررنا أن نجـرب الشوق.. شوق كل منا للآخر..

وقالت الأم وهى أكثر شماتة :

— لماذا الشـوق يـا ابنتى.. لقــد قلت إنـه ليس بينكما حب ولا مــا يمكن أن يتطــور إلى حب.. فما حاجتكما إلى الشوق .

وقالت الابنة وهى تزفر انفاسها فى زهق :

— الصـداقة أيضـا فى حاجـة إلى الشـوق.. كل العواطف الحلـوة محتاجة إلى الشوق.. انى فى حاجة إلى الشوق إليك أنت يا ماما.. عندما اغيب عنك ثم أعـود إليك أحس بفرحـة تعـوضنى عن الخناقـات التى تدور بيننا إذا ما انقضت الأيام وبوزى فى بوزك..

وقالت الأم محتدة :

— على كل حال الوقت ليس مناسبـا لهذا الكلام.. انه وقت مذاكرة وامتحانات .

وقالت الابنة فى حسرة ..

— لهذا قررنا أن نجرب الشوق ..

وقالت الأم فى دهشة .

— لماذا ؟

وضاقت عينا الابنة كأنها تهم بالبكاء وقالت :

— لأننـا اكتشفنا ان كـلا منـا ينشغل بالآخـر عن المذاكـرة وعن الامتحانات ..

ومالت الأم بظهرها على المقعد وانتفخ صدرها بالغرور وقالت .

— هذا مـا كنت احسب حســابه .. وقد حـذرتك منه .. وعـارضت دعوة عصــام ليذاكـر معك فى البيت .. وقلت لك انه لا يمكـن ان ينفرد ولد وبنت إلا وكان ثالثهما الشيطان .. أو ثالثهما الحب ..

وقالت الابنة فى صوت ضعيف .

— أنا لم أخش الشيطان ولكنى خشيت الحب ..

وقالت الأم المغرورة .

— هذا ما يطمئننى عليك .. انك تهربين دائما من الحب ..

وقالت الابنـة وهى تطلق نظراتها الى بعيـد كأنها تحادث نفسها .

— إنى ضحية .. كل بنات هـذا الجيل ضحايا ..

انتـا نحـاول ان نبنى مجتمعا جديدا ونفرض تقاليد وعادات جديدة .. دون ان يكون احـد من قبلنا قد جـرب هذا المجتمع ولا نحن جـربناه ولا فهمناه .. ان المجتمع الأمـريكى يطلق حريـة البنت فى ان يكون لها صـديق Boy friend .. وفى كل ليلـة يـوم السبت ونهار الأحـد تختـار صديقـا لتخرج معه .. وتظل بين الأصـدقاء الى أن تستقـر مع صديق واحد لا تغيره يسمـونه Steady Boy friend وتبقى مرتبطـة به سنوات تنتهى عادة بالزواج .. واذا لم تنتـه بالزواج فلا يهم .. لا أحد يعترض أو يعلن فضيحة .. وكل ذلك وضع طبيعـى فى المجتمع الأمريكى حتى ان الأم اذا وجدت أنه ليس لابنتها صـديق اعتبرتها فاشلة اجتماعيا .. واتهمها المجتمع بأنها ناقصة فى عقلهـا أو فى جمال انوثتها .. وكل هذا يعتبر طبيعيا لأن التقاليد ليست جديـدة .. انها تقاليد عاشتها الأم وأم الأم .. أمـا نحن فكل شىء جديـد .. وعنـدما تطـالب البنت ان تدعـو صـديقهـا ليـذاكر معهـا فى البيت تحس انها تحاول اكتشـاف عـالم جديد.. عالم مجهول لم تره ولم تعش فيه أمها حتى تدلها عليه .

وهـذا مـا أحسست بـه منـذ بـدأت اذاكـر مع عصـام فى البيت .. احسست كأنـى دخلت عـالما مجهـولا .. اصبحـت ارتعش اذا لمست اصـابعى أصابعـه لأنى لا أعـرف الى مـاذا يمكن ان تنتهى اليه هـذه اللمسـة .. وأصبحت اتعمد ان أبعـد قـدمى حتى لا تحتك بقدمـه من تحت المائدة التى نـذاكر عليهـا .. وكأن مجرد احتكاك قـدمى بقدمـه يعتبر كأنى استسلمت له .. وقد قـاومت طويلا وأنا أخاف ان تتطور علاقتنـا .. والمقاومة بدأت تشغلنى عن المذاكرة .. واعتقـد انه هو أيضـا أصبح يقاوم .. فانشغل كل منا بالمقاومة عن المذاكرة .

وقاطعتها الأم فى حدة .

— الى أى حـد وصل تطور عـلاقتكما ، وقـالت الابنة ضاحكة .

— ماما .. ماذا تفعلين لو رأيتنى أنا وعصام نتبادل قبلة ؟

وصرخت الأم .

— اذبحك .. واجعل ليلتك سوداء .

وقالت الابنة بلا مبالاة .

— انهم فى امـريكـا يعتبرون القبلـة بين البنـت وصـديقهـا أمـرا طبيعيا.. وقبضت الأم على يد ابنتها وقـالت وهى تضغط عليها وتهزها فى عنف .

— هل اصبحت امريكية ؟

وقالت الابنة ضاحكة :

— يـاريت .. كنت على الأقل قد خـرجت من الحيرة بين تقـاليدنـا وتقـاليد امـريكـا .. واطمئنى .. لم يحدث بينى وبين عصام قبـلات .. فقط نظرات تحمل معنى القبلة .

وتركت الأم يد ابنتها وقالت فى قرف :

— المهم .. على ماذا اتفقتما انت وعصام ؟

وقالت الابنة وقد عادت تنظر الى بعيد :

— اتفقنا على ان أذاكـر وحدى .. وأن التقى به بعـد المحاضرات فى حديقة الأورمان لاراجع ما ذاكرتـه معه .. انى أحس بالأمان معه أكثر مما أحس بالأمان وانا هنا فى البيت على مائدة الطعام .

وقالت الأم ونظراتها حائرة :

—ولكنى أصبحت أحس بـالأمـان عليـك اكثـر عندما يكون معك هنا .

وقالت الابنة ضاحكة :

— هـذا تطـور كبير .. انك ارتفعت الى العـالم الجديـد .. العـالم الذى يبحث عنـه جيلنـا .. على كل حال فليس معنى هذا أن عصام لـن يأتى لزيارتنا .. لقد دعوته لتناول الشاى غدا .

وقالت الأم وهى أشد حيرة .

— إنى لا أفهم ما بينك وبين عصام.

وقالت الابنة وهى تشارك امها فى حيرتها :

— ولا أنا استطيع ان أفهم ما بينى وبينه .

قالت الأم وهى تنظر الى ابنتها فى لوعة .

— يا ابنتى طمئنينى .. مـاذا بك ؟ .. لقد مضى عليك يـومان وانت تتعمدين العزلة ولا تتكلمين ..

وقالت الابنة ـ وهى تتنهد كأنها تريح نفسها من ثقل اسرارها :

— ليس بى شىء.

ونظـرت الأم الى الابنة طـويـلا كأنها تحاول أن تدخل فى أعماقهـا وقالت وهى تبتسم فى خبث كأنها عرفت السر :

— ما أخبار صديقنا عصام ؟

وسكتت الابنة .. لم ترد

وعادت الأم تقول :

— لماذا لا تتكلمين .. ما أخبار عصام ؟!

وقالت الابنة فى عصبية :

— لم أعد أراه..

وقالت الأم فى دهشة :

— لماذا .. ماذا حدث بينكما ؟

وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة مرة ساخرة .

— لقد بدأ يتحدث عن الزواج .

وقالت الأم وهى أشد دهشة :

— هل يريد أن يتزوج ؟

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها الساخرة :

— لم يقلهـا صراحة .. ولكنـه يتكلم عن الـزواج عموما .. ويتمناه لنفسـه .. ويقول انه يستطيع حل كل المشـاكل التى يمكن ان تعترضـه وقـالت الأم فى حيرة :

— وماذا يغضبك من الكلام عن الزواج ؟

قالت الابنة ساخطة .

— أنا لا أعطى الشاب حق الكـلام عن الزواج إلا اذا كان يستطيع الـزواج فعـلا .. وان يسكت عن الكـلام الى أن يستطيع .. وعصـام لا يستطيع الزواج الآن .. انـه لن يتخرج قبل عـامين . ويحتاج على الأقل الى خمس سنـوات بعـد التخـرج حتى يستطيع ان يتحمل مسئـوليـة نفسه ومسئولية بيت .. فلماذا يتحدث عن الزواج الآن؟

وقالت الأم وهى تحاول ان تخفف عن ابنتها :

— ان من حقه ان يتحدث عن آماله.

— وقالت الابنة فى حدة :

— إن الزواج امـل خطر .. أمل معـرض دائما للخديعـة والكذب .. والزواج هـو أمل بالنسبـة للبنت لأنه يتعلق بـوضعها الاجتماعى كما سبق ان قلت لك .. أمـا الرجل فليس فى حـاجة لأن يعيش أمل الـزواج ويجب ان يكـون الزواج بـالنسبة لـه واقعـا .. أى لا يفكر فيـه إلا اذا استطاع ان يفرضه كواقع .

وقالت الأم وقد عادت الى حيرتها :

— ولماذا تتحدثين بهذه العصبية وهذا السخط .. كأنك تريدين ان تنهد الدنيا على من فيها ؟

وقالت الابنة وهى أشد ثورة :

— لأن الأمل فى الـزواج هـوالمبرر لكل المصـائب التى تقع فيها البنات .

وقالت الأم وهى مطمئنة .

— ولكنك قلت ان عصـام شـاب كـامل مهـذب لا يمكن ان يطمع فى شىء يمسك .

قالـت الابنة وهى تديـر وجهها كأنها خجلـة من أمها :

— انه كامل ومهذب ولكنه فى النهاية شاب .. بنى آدم.

وقالت الأم فى جزع :

— ماذا تعنين ؟!

وقالت الابنة من خلال ابتسامة ساخرة :

— انه منذ بدأ يتحدث عن الزواج اصبح يتعمد ان يمسك بيدى طويلا عندما نلتقى فى حديقة الأورمان .. وصرخت الأم :

— ولماذا تتركين له يدك .

وقالت الابنة كأنها ترثى لنفسها .

— إنى أحس بضعف نحوه .. وقد حدث ما هو اكثر .

وانتفضت الأم صارخة وهى تمسك بكتف ابنتها كأنها على استعداد لأن تخنقها .

— ماذا حدث .. تكلمى .. ماذا حدث ؟!

وقالت الابنة فى استسلام :

— تركته يقبلنى

وقالت الأم وهى تهز ابنتها فى عنف :

— كيف قبلك .. وأين ؟.

وقالت الابنة وهى مستسلمة :

— تركته يقبلنى على شفتى .. فى حديقة الأورمان وصرخت الأم بأعلى صوتها :

— يا مصيبتى .. يا فضيحتى .. يقبلك على شفتيك فى حديقة الأورمان .. امام الناس ..كم طالبا وطالبة رأوكما ؟

وقالت الابنة وكأنها متعجبة من عقلية أمها :

— يا ماما .. لم يرنا احد .. لقد كنا خلف الشجرة .. هذا يحدث فى كل الحدائق .. ثم .. انها مجرد قبلة واحدة .. لم يحدث بيننا أى شىء آخر .

وقالت الأم الثائرة :

— ماذا تعنين انها مجرد قبلة.. القبلة حرام واللاحلال ؟. لا .. انها حرام .. مادامت النية التى دفعت اليها لا تجوز إلا فى الحلال .. ثم لماذا لا تحترمين شفتيك وتحرصين عليهما كما تحرصين على بقية أعضاء جسدك لماذا يكون شرف البنت معلقا بجزء واحد من جسدها وباقى الجسد مباحا .. لماذا لا تكون شفتاك شريفتين كصدرك وجزعك .. ولماذا يكون الجنس المحرم هو فقط النوم مع الرجل .. ان القبلة أيضا تعتبر ممارسة جنسية .. انى لم أعرف القبل الا بعد الزواج .

ونزعت الابنة نفسها من أمام أمها وقالت وهى تجرى خارج الغرفة .

— لك حق يا ماما .

* * *

قالت الابنة وهى تلقى بكتبها فى عصبية بعد أن عادت من الجامعة.

— كل الرجال يستحقون القتل «تصورى» .. أبو صديقتى خديجة تزوج .. الرجل العجوز الذى وصل الى الخمسين تزوج من جديد .. باسم النبى حارسه أصبح عريسا فى شهر العسل .

وقالت الام فى جزع .

— وماذا فعلت خديجة ؟

قالت الابنة فى سخط :

— ماذا تستطيع ان تفعل غير ان تبكى .. اننا لم ندخل اى محاضرة فى الجامعة اليوم وجلسنا نبكى معا .. أواسيها بدموعى .

— وماذا فعلت أمها ؟

وقالت الابنة الثائرة .

— ماذا تستطيع هى الأخرى ان تفعل .. انها تجلس فى البيت صامتة كأنها اصيبت بالشلل .. وكل الأولاد خاصموا آباهم .. وقد بلغ من وقاحته انه يذهب اليهم كل يوم ويتناول طعام الغداء معهم ثم

يقوم بعد الغداء ويقول كلمة واحدة : هل تريدون شيئا ؟. ثم يخرج الى عروسه الجديدة فى الشقة الجديدة التى اشتراها لها ولا يرونه إلا فى موعد غداء اليوم التالى .. ماذا كنت تفعلين لو كنت مكانها ؟ .

وصرخت الأم :

— بعيد الشر .. لن أكون أبدا مكانها .. ان أباك ليس من هذا النوع من الرجال .

وقالت الابنة فى الحاح:

— افرضى .. مجرد فرض .. انك تزوجت هذا النوع من الرجال .. ماذا كنت تفعلين ؟ .

وقالت الأم وعيناها تبرقان فى غيظ :

— اقتله واقتل نفسى .

وقالت الابنة .

— هذا ليس حلا .

وقالت الأم وكأنها اكتشفت الحل :

— لك حق .. لا اقتله ولا اقتل نفسى .. إنما اقتلها هى .. هى التى سرقته منى ومن بيتى .

وقالت الابنة وكأنها بدأت تخطط للمستقبل :

— وهذا أيضا ليس حلا .. الحل هو ان نبدأ أولا فى البحث عن الأسباب التى تدفع الرجل الى الزوجة الثانية .

وصاحت الأم :

— مهما كانت الأسباب . فهناك ما يسمى الطلاق .. ولو طلق الرجل زوجته ليتزوج أخرى فهذا أرحم من ان يجمع بين زوجتين .. أرحم من ان يجعل الرجل من نفسه سلطانا يعيش فى سوق الجوارى .

وقالت الابنة كأنها تلقى محاضرة :

— هناك أسباب لا تبرر الطلاق .. كأن ينجذب الزوج الى امرأة أخرى انجذابا جنسيا .. وقد

لايتزوج هذه المرأة الأخرى ولكنه يعاشرها معاشرة الأزواج .. وهذا يحدث فى مجتمعات أوروبا وأمريكا .. المجتمعات المتقدمة .. الزوج يتخذ عشيقة وقد تتخذ الزوجة هى الأخرى عشيقا .. لمجرد الانجذاب الجنسى .. وقد تكون هناك أسباب متعلقة بالتقاليد الدينية تمنع الطلاق .. فالكنيسة الأرثوذكسية خصوصا فى بلاد امريكا اللاتينية تحرم الطلاق تحريما مطلقا فيضطر الزوجان اللذان لا يطيق احدهما الآخر الى الانفصال .. مجرد الانفصال .. ثم يعيش الزوج مع امرأة أخرى بلا زواج وتعيش الزوجة مع رجل آخر بلا زواج أيضا .. وقد انتشرت هذه الحالة على مر السنين الى ان اعترف بها المجتمع فى بعض هذه البلاد .. كمجتمع الأرجنتين .. يعترف بالعلاقة بين الرجل والمرأة بلا زواج حتى لو كان كل منهما مرتبطا بعلاقة زواج رسمية لاتتعدى دفاتر التسجيل .

وصرخت الأم :

— هذه مصيبة .

وعادت الابنة تقول وكأنها لم تسمع صرخة أمها :

— وهناك تقاليد دينية عكسية .. فالدين الاسلامى لا يسمح ان يمس الرجل المرأة إلا بعد الزواج الشرعى .. وبما ان الرجل يريد ان يمس اكثر من امرأة .. وبما ان الدين الاسلامى يعطى الرجل حق الزواج بأربع نساء .. فهو يتزوج أربعا ثم يطلقهن ليتزوج أربعا أخريات .. إنى سمعت عن رجل من رجال البترول يتزوج كل أسبوع زوجة جديدة .. ربما تزوج حتى اليوم مائة زوجة .. زواجا شرعيا .. حلالا .. انه رجل متدين .

وصرخت الأم :

— مصيره جهنم .. فقد اشترط الدين على الرجل ان يعدل بين الزوجات .. فكيف يعدل بين كل هاتيك الزوجات .

وقالت الابنة ساخرة :

انه يعدل بعدالة يفرضها سوق الجوارى .. عدالة المساواة بين العبيد ..

ثم هناك أسباب أخرى قد لا تدفع الى الطلاق .. فالرجل الفقير يتزوج أكثر من زوجة ليزيد انتاجه من الأولاد . لأن الأولاد يعتبرون بالنسبة له مصدر دخل .. كما كان مجتمع الفلاحين عندنا .. الفلاح يستغل ابنه فى العمل فى الحقول بمجرد ان يصل الى سن السادسة ويحتفظ بأجر ابنه لنفسه .. أى ان الزواج بالنسبة له هو مصنع لانتاج قوى عاملة تدر الربح .. فيتزوج مثنى وثلاث ورباع لينتج أربعة وخمسة وعشرة من الأولاد .. أى من مصادر الدخل .. الأسباب كثيرة .. هل تعرفين لماذا تزوج أبو صديقتى خديجة ؟ .

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— لماذا ارتكب هذه الجريمة ؟

وقالت الابنة ساخرة :

— لأن الله فتح عليه .. ازداد دخله وأصبح غنيا يستطيع ان يفتح بيتا آخر ويشترى امرأة أخرى .

وقاطعتها الأم فى سخط :

— ولماذا لا يعاشر هذه الأخرى بلا زواج ؟

وقالت الابنة كأنها مغتاظة :

— انها امرأة شاطرة .. اقنعته ان كل شىء بثمنه .. وإنها امرأة شريفة ثمنها هو الزواج على سنة الله ورسوله .

وقالت الأم فى أسى :

— هذه مصيبة .

— وقالت الابنة وهى تبتسم فى غرور كأنها وجدت الحل :

— كل مصيبة ولها حلال .. ودعيتى الآن لأطمئن على خديجة بالتليفون .. وسأعود اليك .

قالت الأم وهى تستقبل ابنتها فى لهفة :

— أين كنت .. انى انتظرك منذ ساعات لتطمئنينى عما تفعله صديقتك خديجة بعد ان تزوج ابوها ..وقالت الابنة وهى تلقى بنفسها على المقعد فى اعياء :

— لقد استدعتنى خديجة لأساعدها على انقاذ أمها .

وخبطت الأم على صدرها وقالت فى جزع :

— هل حاولت أمها الانتحار ؟ .

وقالت الابنة وهى تلتقط انفاسها المرهقة :

— لا .. كانت تحاول أن تجمع ثيابها وتذهب الى بيت شقيقها وتطلب الطلاق .

وقالت الأم فى غيظ :

— لها حق .. ان الرجل الذى يفرض امرأة أخرى على زوجته بعد هذا العمر الطويل لا يستحق ان يكون له قيمة الرجال .. ويجب ان تتركه زوجته وتطلب الطلاق .

وقالت الابنة فى هدوء :

— انها بذلك تهدم بيتها .

وصرخت الأم :

— انه هو الذى هدم البيت .

وقالت الابنة وهى لا تزال هادئة :

— لا .. انه لوث البيت ولكنه لم يهدمه .. مادام لم يطلق زوجته ولم يقصر فى مسئوليته عن البيت وعن الأولاد .

وعادت الأم تصرخ :

— هل تعتقدين ان الزواج هو مجرد مسئولية؟.. أى ان يدفع الزوج مصاريف البيت والأولاد نظير ان تتحمل الزوجة مسئولية المطبخ وترتيب البيت وتربية الأطفال .. لا يا ابنتى .. ان الزواج هو كيان

اجتماعـــى يقوم أساسا على الرباط الذى يجمع بين الزوج والزوجة وعلى الربـاط بينهما هما الاثنان وبين المجتمع .. فلـو جمع الرجل بين زوجتين فقد مـزق هذا الربـاط .. مزق مـاكان يجمعه بـزوجته الأولى ومـا كـان يجمعهما بـا لمجتمع والنـــاس .. مـزق صـورة الكـرامـة الاجتماعية التـى كان يعيشهـا .. كرامته وكـرامة زوجتـه بل كـرامة زوجته .. افترضـى أنه جـاءته دعـوة اجتماعية بـاسمه وبمصـاحبة زوجته .. نتشرف بـدعوة السيد عبدالفتـاح مدبولى والسيدة حـرمه .. فأى حـرم يصحبها معـه الى هذه الـدعوة .. زوجتـه الأولى أم زوجته الثانية ؟.

— وقالت الابنـة وهى تنظر الى أمها فى اشفاق كأنها تتصـور أمها فى نفس الموقف :

— لك حق يـا مامـا .. إنى أوافقك على كل كلمـة تقولينهـا .. ولكن المشكلة هى ان نبحث عن حل يعيد الحياة الزوجية كما كانت .

وقالت الأم ساخرة فى مرارة :

— وهل وجدت الحل ؟

وقالت الابنة وهى تنظر الى بعيد كأنها تبحث عن الأمل :

— تقريبا ..

وقالت الأم وهى لا تزال ساخرة :

— وماذا وجدت يا حلالة العقد ؟.

والتفتت الابنة الى أمها وقالت فى حماس :

— لقـــد اقنعـت الأم بأن تبقـى فى البيت وألا تحاول ان تفرض على زوجهـا ان يختار بينهـا وبين الزوجة الثانية .. أما ان يطلقها أو يطلق الثانية .

وصرخت الأم :

— لماذا .. هـذا حقها .. هـذا أقل مـا تصون بـه كرامتها .

وقالت الابنة وهى لا تزال مندفعة فى حماسها :

— لو فرضت عليه الاختيار فليس هـذا فى صالحها .. انه سيبدأ فى المقارنة بينهـا وبين الثانية .. وسيتصور ان الثانيـة قد ضحت اكثر فى سبيلـه لأنها قبلتـه وهـو زوج لأخـرى .. فى حين ان الـزوجـة الأولى ترفض التضحية لأنها لا تحبـه قدر مـا تحبه الثـانية .. وسيجـد ان الثانية تعطيه فى بيتها أوقـاتا سعيدة مريحة حلوة .. فى حين لا يجد فى البيت الأول سـوى التبويـز والخنـاق ومعاملتـه كأنـه مجرم .. فإذا اضطر وهو فى هذه الحالة ان يختار فلا شك انه سيختار الثانية .

وقالت الأم فى غيظ :

— وما العمل ؟

وقالت الابنة وذكاؤها يلمع فى عينيها :

— العمل هـو ان تتركه الى ان يقـرر بنفسه الاختيـار .. ولنتساءل لماذا تـزوج للمرة الثـانية .. انـه لم يتزوج لأنـه كان ينقصـه شىء فى البيت أو فى المجتمع .. بـالعكس ..ان زوجتـه معروف عنهـا أنها ست بيت ممتـازة وسيدة مجتمع نـاجحـة .. ولكنه تـزوج الثـانية بـدافع الاغـراء الجنسى.. أراد ان يجدد شبـابه الجنســى .. وهذه الـزوجـة الثـانية أصغـر سنـا ثم انها طبق جـديد اقصـد جسـداً جديـداً فتح شهيته .. فتـزوجها .. ولكن العـلاقة الجنسيـة لا تلبث ان تذبل تحت ضغط الملل والـروتين كما يحدث دائما بين الأزواج .. وبعـد ان تـذبل علاقتـه الجنسية سيبدأ فى المقـارنة بين بيتـه القديم وبيته الجديد .. وأنا واثقة انه سيختار القديم ويعود اليه .

وقالت الأم متهكمة :

— حتى لـو انجبت منـه .. انـــه سيحن بجـانب حنينه الى بيته القديم الى المجتمع الذى كان يعيشه .. وسيشتـاق الى ان يتفــرغ لهذا المجتمع كما كـان .. ولهذا نصحت أم خديجة بأن تطلب من أصدقائها ان

يكثروا من دعوتها ودعوته حتى يظل مرتبطا بهذا المجتمع .. وسيأتى يوم يتغلب فيه هذا المجتمع ويجعله يصحح وضعه فيه فيطلق الزوجة الثانية حتى لو كان قد انجب منها .

وقالت الأم وهى دهشة من منطق ابنتها :

— أفرضى ان هذه الزوجة الثانية كانت من الذكاء والخبث بحيث استطاعت ان تحتفظ به رغم كل ذلك .

وقالت الابنة كأنها عالمة فى علم الحياة الزوجية :

— فى هذه الحالة يجب ان تفكر الزوجة الأولى فى مستقبلها قبل ان تفكر فى الطلاق .

وقالت الأم فى تساؤل :

كيف ؟

وقالت الابنة وهى تقوم من جانب أمها :

— دعينى الآن يا ماما .. يجب ان افتح الكتاب وأذاكر .. وسأعود اليك .

قالت الأم وهى تنظر الى ابنتها ساخرة كأنها تستهين بعقليتها :

— لقد قلت ان الزوجة البائسة يجب ان تفكر فى مستقبلها قبل ان تفكر فى الطلاق .. فأى مستقبل ينتظر الزوجة بعد الطلاق إلا إذا كانت زوجة تعمل وتكسب وتستطيع ان تعتمد على نفسها .

وقالت الابنة وكأنها تشفق على امها من جهلها :

— حتى الزوجة التى تعمل يجب ان تفكر فى مستقبلها قبل الطلاق .. فالزواج ليس مجرد وضع اقتصادى يحدد دخل العائلة وكم يدفع الزوج وكم تدفع الزوجة .. ولكنه ايضا وضع اجتماعى يحدد شخصية المرأة فى المجتمع .. وهناك فرق كبير بين الشخصية الاجتماعية للزوجة والشخصية الاجتماعية للمطلقة .. ويجب على المرأة قبل ان تطلب الطلاق ان تحدد قدرتها على تحمل هذه

الشخصية الاجتماعية الجديدة .. كيف تعيش بين الناس .. وكيف تتلقى الدعوات.. وما هى الصفة التى تقدم بها نفسها .. ومن تصاحبهم ومن لا تصاحبهم .. وأين تذهب وأين لا تذهب .. والواقع ان حرية الزوجة فى المجتمع أوسع من حرية المطلقة .. فالمطلقة تثير الهمسات والأقاويل حول حياتها الخاصة فى كل مجتمع .. والزوجات يتعاملن بحرص مع المطلقات ويتعمدن ألا يرفعن الكلفة معهن خوفا من أن تلطش احداهن زوجها .. كما ان الرجال هم اكثر جرأة على المطلقات .. انهم يعتبرون كل مطلقة كأنها فريسة سهلة .. ولهذا فالمطلقة تضطر ان تبذل جهدا كبيرا وتحرم نفسها من كثير من المتع الاجتماعية حتى تظل محتفظة باسمها نظيفا وبكرامتها مصونة .

وقالت الأم فى قرف :

— كأنك تقولين ان الزوجة عندما تطلب الطلاق فكأنها قررت الانتحار اجتماعيا .

وقالت الابنة فى هدوء :

— لا يا أمى .. ولكنها تنتقل الى وضع اجتماعى خاص .. حتى أنها دون ان تتعمد تجد نفسهاأقرب الى المطلقات مثلها .. المطلقات يلتففن حول البعض كأنهن يشتركن فى مجتمع خاص بهن .. مجتمع له تقاليده الخاصة، ومشاكله الخاصة. وأسلوبه الخاص.. مجتمع يختلف عن المجتمع العام.. ان المجتمع العام ينقسم إلى ثلاثة مجتمعات خاصة.. مجتمع البنات. ومجتمع الزوجات. ومجتمع المطلقات وهو متصل بمجتمع الارامل.. هذا هو واقع المجتمع.. حتى انى اتصور أن تقيم المطلقات نقابة لهن فى كل حى.. نقابة مطلقات مصر الجديدة.. ونقابة مطلقات الجيزة.. ونقابة مطلقات طنطا.. وتتولى كل نقابة توفير الحياة الاجتماعية لعضواتها وحمايتهن من كلام الناس وحماية حقوقهن.

وقالت الأم مقاطعة :

— دعك من هذا التخريف.. انك لم تقولى بعد كيف تحدد الزوجة مستقبلها قبل أن تقرر الطلاق .

وقالت الابنة وهى تنظر إلى بعيد فى حيرة :

— لست أدرى.. كل زوجة لها ظروفها الخاصة.. وأنا أعرف حكاية عجيبة.. فقد كان هناك زوجان اكتشفا انهما لا يمكن أن يستمرا معا فى الحياة الزوجية.. ولكن الزوجة خافت من أن تعيش كامرأة مطلقة، وكان الزوج انسانا كريما حريصا على تأمين زوجته، فاتفقا على أن ينفصلا.. كل منهما يعيش وحده.. ويؤجل الطلاق إلى أن تطلبه الزوجة أو يطلبه الزوج.. أى إلى أن يكتشف أحدهما انه أصبح فى حاجة إلى الطلاق. وفعلا مضت سنوات والزوجة تعيش.. اجتماعيا باسم زوجها إلى أن وجدت رجلا آخر قبلت أن تتزوجه فطلبت الطلاق من زوجها الأول. وطلقها فى الحال.. والثلاثة يعيشون الآن وهم أصدقاء.. الزوجة والزوج الأول والزوج الثانى .

وقالت الأم وعيناها غارقتان فى الدهشة :

— ولو كان الزوج هو الذى طلب الزواج أولا لأنه وجد زوجة جديدة.. هل كانت زوجته تقبل وتوافقه فى بساطة ؟

وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة الفلاسفة :

— يجب أن توافقه وتقبل وتتمنى له السعادة فى زواجه الجديد.. لأن هذا هو الواقع والاعتراف بالواقع أجدى من رفضه أو مقاومته..

وصاحت الأم فى انكار :

— انك لن تجدى رجلا كهذا الرجل.. رجل يقبل أن تظل المرأة محتفظة باسمه كزوجة بينما تبحث عن رجل آخر لتتزوجه .

وقالت الابنة فى حماس :

— هذا الرجل أشرف وانظف من عشرات الرجال

الذين يرفضون تطليق زوجاتهم لمجرد الانانية وحق التملك.. تملك الجوارى.. ثم يترك كل منهم زوجته تهرب من بيته وتعيش مع أهلها أو وحدها، وتعطى نفسها الحق فى الارتباط بأى رجل آخر دون أن يكون لها حق الزواج لأنها ليست مطلقة.. أى أن هذا النوع من الرجال يقبل على نفسه أن يترك امرأة تحمل اسمه وتكون عشيقة لرجل آخر .. يطلبها لتتزوج هذا الآخر ويحتفظ باسمه نظيفا.

وصاحت الأم ساخطة :

— ان المرأة التى تقبل أن تكون عشيقة للرجل مهما كانت الاسباب هى امرأة من طبيعتها الاستهانة بالشرف والتردى فى علاقات غير شرعية وغير شريفة.. أن المرأة ليست مسئولة عن اسم زوجها فقط ولكنها مسئولة أولا عن اسم أولادها فإذا قبلت أن تكون عشيقة فهى لاتعتدى بذلك على شرف زوجها وحده بل تعتدى أولا على شرف أولادها .

وقالت الابنة فى لهجة محامى الدفاع :

— يا أمى ان الحاجة البشرية تهرب من المبادىء العامة عندما تعجز هذه المبادىء عن تحقيق هذه الحاجة.. ماذا تريدين من امرأة أن تفعل إذا كانت قد طلبت الطلاق وزوجها لا يطلقها.. ان من حقها فى هذه الحالة ان تعتبر نفسها مطلقة.. حرة .

وقالت الأم وهى لا تزال تصرخ :

— انها تستطيع أن تلجأ إلى المحاكم وتحصل على الطلاق .

وقالت الابنة ساخرة :

— ان قضايا الطلاق عبارة عن اشهار للفضائح العائلية.. ما يقال فيها يمرمط من كرامة الزوج والزوجة والاولاد.. ثم لا تنسى أن القضاة رجال.. ولأنهم رجال فانهم يتأثرون أكثر بمنطق الزوج الذى يرفض الطلاق ويحكمون باسم الحرص على

الحياة العائلية.. وكم من الجرائم ترتكب باسم الحرص على الحياة العائلية.

وقامت الأم واقفة وقالت وهى تخرج من الغرفة :

— كفى .. لا أريد أن أسمع المزيد .. ان الكتب التى تقرئينها قد سممت عقلك.

وقالت الابنة ضاحكة :

— انى واثقة من انك تريدين أن تسمعى المزيد.

● قالت الابنة وهى تبتسم فى غرور كأنها تعودت أن تكون أستاذة لأمها :

— لماذا لا تسأليننى عن مستقبل الزوجة المطلقة حتى نتم حديثنا؟

ورفعت الأم رأسها وكأنه رأس مثقل بالهموم وقالت فى حدة :

— لا طلاق ولا زواج .. دعينى فى حالى .. انكن تضيعن الوقت فى الكلام الفاضى والفلسفات السخيفة هربا من هموم الواقع.

وقالت الابنة فى جزع وهى تشفق على أمها :

— أية هموم يا ماما ؟

وقالت الأم فى سخط وهى تنظر إلى ابنتها فى غيظ :

— هموم الحسابات.. انك تأكلين وتشربين وتلبسين وتخرجين وتدخلين دون أن تحملى هم الحسابات.. دون أن تسألى نفسك بكم أكلت وبكم شربت وبكم لبست.. أنا وحدى فى هذا البيت التى تسأل نفسها كم دفعت وكم بقى معها من مصروف البيت.. أنا لم أعد أمكم إنما أنا دفتر حسابات يضع نفسه فى خدمتكم.

وقالت الابنة وهى تبتسم فى حنان :

— أنت لست دفتر حسابات.. أنت وزيرة المالية.

وصاحت الأم :

— لقد قررت وزيرة المالية الاستقالة وتعالى

حضرتك وامسكى الحسابات وتولى المصروف .

ومالت الابنة تقبل أمها وقالت ضاحكة :

— اجتمع مجلس إدارة العائلة ورفض الاستقالة.. وقرر أنى خيبة ولا أساوى شيئا بجانب ماما.

وهدأت الأم وقالت وهى تتنهد فى أسى :

— الحالة أصبحت صعبة جدا يا ابنتى.

وقالت الابنة مواسية :

— انها صعبة منذ زمن طويل فماذا جد حتى تثورى هذه الثورة..

وقالت الأم وهى تبتسم ابتسامة ساخرة :

— الذى جد أنى أردت أن أشترى لكم كيلو برقوق.

وقالت الابنة فى دهشة :

— وماذا حدث ؟

وقالت الأم فى لوعة :

— هل تعلمين بكم يباع كيلو البرقوق.. بمائة وخمسين قرشا.. جنيه ونصف الجنيه.. وجننت عندما علمت بالثمن.. البرقوق بـ١٥٠ وكيلو اللحم بـ٢٢٠ .. وعلبة السمن بثلاثة جنيهات.. وكيلو البامية بدأ بـ١٥٠ وتوقف عند ٣٠ .. والبطيخة التى لا تصلح للأكل باثنين جنيه.. حتى صابون الغسيل اختفى ولا أدرى بكم يباع فى السوق السوداء.. و.. و.. لم يعد مرتب أبيك يكفى لنعيش حتى لو نال عشر علاوات ومكافآت.

وسكتت الابنة برهة كأنها تفكر ثم قالت :

— الواقع أننا يجب أن نغير أسلوب حياتنا.

وصرخت الأم :

— لا تبدئى فى الفلسفة.. لا تدوشى دماغى بآرائك السخيفة..

وقالت الابنة وهى ترد على صرخة أمها :

— دعينى أقل لك كيف يعيش الناس العقلاء.. فى

أوربا أو فى أمريكا .. انهم هناك لا يشترون البرقوق بالكيلو ولكنهم يشترونه بالواحدة.. ولا البرتقال.. ولا الموز.. كل شىء يباع بالقطعة.. بالواحدة.. وكان يمكنك أن تشترى أربع حبات برقوق.. واحدة لى وواحدة لك وواحدة لبابا وواحدة لأخى.. هذا يكفينا.

وصاحت الأم فى حدة :

— هل أضع أربع برقوقات على المائدة.. هل سرقتها من على الشجرة.. أم خطفتها من الجيران.. انها تكون فضيحة.

وقالت الابنة وهى أشد حدة :

— الفضيحة أن نشترى لمجرد استكمال المظهر، وتعتقدى أن المظهر هو الذى يفتح الشهية للأكل.. فى حين أنه يكفى كل واحد منا برقوقة.. مجرد مذاق حلو نختم به الأكلة.

وقالت الأم ساخرة :

— الباعة لا يبيعون البرقوق بالواحدة ولكنهم يبيعونه بالكيلو..

وقالت الابنة جادة :

— تستطعين أن تطلبى من البائع أن يزن لك الأربع حبات.. وقد تزن ربع كيلو أو واحدا على عشرة من الكيلو.. ولا تدفعى إلا قيمة وزنها.. ثم أننا نأكل بطيخة كاملة فى الوجبة الواحدة فى حين أن هذه البطيخة يمكن أن تكفينا ثلاث وجبات على ثلاثة أيام ..

وقالت الأم فى سخط :

— هذا كلام فاضى .. خرافات فلسفية لا يمكن أن يقبلها الواقع..

وقالت الابنة فى هدوء :

— يا أمى افهمينى .. اننا نسرف فى ملء بطوننا.. وهو دليل التأخر، لأن غريزة الأكل هى متعة للانسان .. وكلما كان الانسان متأخرا اشتدت سيطرة غريزته عليه .. فنحن نأكل لا بقدر حاجاتنا للأكل ولكننا نأكل مستسلمين لمتعة الأكل

حتى لو نفخنا بطوننا .. بعكس الانسان المتقدم فهو يحاول أن يعود نفسه على الا يأكل إلا بقدر حاجته .. ونحن هنا نأكل ثلاث وجبات كاملة فى اليوم .. وفى كل وجبة نلتهم ثلاثة أطباق .. طبق من الخضراوات وطبق من اللحم وطبق من الأرز ثم فوق ذلك طبق الحلوى أو الفاكهة .. فى حين أن الانسان الراقى عود نفسه على ألا يأكل إلا وجبتين كاملتين .. وجبة الافطار ثم وجبة العشاء المبكر، أى عشاء الساعة السابعة مساء وهو موعد انتهاء ساعات العمل .. وفى كل وجبة يتناول طبقا واحدا يجمع بين كل الاصناف .. أى أن كل ما يأكله لا يزيد على سعة طبق واحد لا سعة ثلاثة أطباق كما نفعل نحن .. وبعده يتناول طبق الحلوى أو الفاكهة ..

وقالت الأم ساخرة :

— خلاص .. من اليوم سألغى طعام الغداء أو طعام العشاء ..

وقالت الابنة فرحة :

— انك ستوفرين ربع المصروف.

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى استخفاف :

— بالعكس يا عبيطة.. ان أباك وأخاك ان لم يجدا الغداء أو العشاء فى البيت فسيبحثان عنه خارج البيت ويزيد المصروف بذلك إلى الضعف.

وقالت الابنة فى حسم :

— بالنسبة لنفسى.. سألغى من حياتى طعام الغداء وسأكتفى بالعشاء المبكر.. سأعود الشغالة على أن تعد لى المائدة فى الساعة السابعة مساء كل يوم.

وقالت الأم فى مرارة :

— الشغالة خرجت ياست هانم.. همومى ليس لها حد.

قالت الابنة وهى تهدىء من ثورة أمها :

— يا ماما يجب أن نستغنى عن أى شغالة أو شغال.. خلاص.. انتهى عصر شغالات البيوت.. لم يعد هناك لا خدم ولا حشم.

وقالت الأم فى ثورة :

— لا .. لايزال هناك خدم وحشم.. وبيوت كثيرة تضم شغالين.. السفرجى والطباخ والدادة والسائق.. ولكن كل الشغالين أصيبوا بالجنون.. جنون العظمة.. إن كلا منهم أصبح يطالب بمرتب خريج جامعة.. لقد سمعت أن هناك طباخا يعمل لدى أحد الأجانب يتقاضى مائة جنيه فى الشهر.. مرتب وكيل وزارة.. والبنت المفعوصة التى جاءت لتعمل عند جارتنا طلبت عشرين جنيها فى الشهر.. هذا جنون ..

وقالت الابنة وهى تبتسم مواساة لأمها :

— لهذا يجب أن نستغنى عن الشغالين.

وقالت الأم مقاطعة :

— لا أستطيع.. لقد نشأت وتربيت والبيت يعتمد على الشغالين.. لقد كنا زمان نستدعى بنات قريتنا ليعملن عندنا فى البيت.. ونخصص لكل منهن مرتبا «جنيها واحدا» أو إذا كانت البنت كبيرة فقد تصل «اتنين جنيه» ولم تكن تقبض مرتبها ولاحتى تعطيه لأهلها بل كانت أمى تدخره لها حتى تصل إلى سن الزواج فنزوجها من القرية ونعيدها إلى هناك وهى تحمل جهازها الذى اشتريناه لها من مدخرات مرتبها.

وقالت الابنة ساخرة :

— كان هذا زمان يا ماما.. ونحن لا نعيش أيام زمان.

وقالت الأم فى أسى :

— هذا صحيح .. لم تعد بنات الفلاحين يردن العمل فى البيوت .. كل منهن تسعى لتعمل فى مصنع.. أى تصبح موظفة حكومة.. لم يعد

العائلات قيمة فيها بحيث تستطيع أن تتبنى البنات ليعملن فى البيوت.. وقد بدأنا نعتمد على الشغالين من أبناء المدينة .. ويا داهية دقى.. كان الولد يعمل بخمسة جنيهات فى الشهر.. ثم ارتفع أجره إلى عشرة جنيهات.. ثم إلى خمسة عشر جنيها.. ثم إلى عشرين.

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— هذا طبيعى .. كل شىء يرتفع.. لقد كان مرتبه خمسة جنيهات عندما كان اللحم يباع بعشرين قرشا.. وقد ارتفع ثمن كيلو اللحم فيجب أن يرتفع مرتبه بنفس النسبة.

وقالت الأم ساخرة :

— ويا ليته يرضى بزيادة المرتب .. إن الشغال بمجرد أن يعمل فى بيت يبدأ فى البحث عن بيت آخر.. وحلمه الأكبر أن يجد خواجة يعمل فى بيته. بيوت الخواجات تغرى بالعمل. كأنه يرتقى بنفسه كسفير يعمل فى دولة أجنبية.. فإذا لم يجد خواجة فإنه يبحث عن بيت آخر قد يعطيه مرتبا أكبر.. أو قد يجد عائلة عدد أفرادها أقل من عدد أفراد العائلة التى يعمل عندها.. أو قد يبحث عن بيت آخر لمجرد تغيير ست البيت .. هناك ست بيت كريمة.. وست بيت حمارة يسهل خداعها وست بيت واعية لا يستطيع أى شغال أن يخدعها لهذا لم يعد أى شغال يستقر فى بيت أكثر من شهور أو أيام.

وقالت الابنة فى جدية :

— هذا لأن نظام عمل الشغالين فى البيوت لايزال يتم بالطرق البدائية.. يجب أن يكون هناك عقد مكتوب بين الشغال وصاحب البيت.. عقد يحدد حقوقه وواجباته.. ويحدد شروط استقالته.. وينظم له علاوات دورية.. كأنه موظف فى شركة خاصة.. بل انى أعلن أن بعض الشغالين فى البيوت الخاصة أصبحوا يطالبون بأن يشترك لهم صاحب البيت فى هيئة التأمينات.

وقالت الأم وهى تضحك فى عصبية :

— انك تحلمين أو على الأصح تخرفين.. إن الشغال نفسه لا يريد أن يرتبط بمثل هذا العقد لأنه يحس أنه أقوى من صاحب البيت ويريد أن يحتفظ بحريته.. ثم انه يخشى أن يحرمه مثل هذا العقد من العمولات التى يلهفها من الجزار والبقال والخضرى نظير كل شىء يشتريه للبيت.. لا تصدقى أن هناك شغالا لا يلهف.. هذا إذا افترضنا أن كل الشغالة أمناء لا يسرقون.

وقالت الابنة فى اشفاق على أمها :

— يا ماما لا تظلمى الناس.. ويجب أن تعترفى بأن نظام الشغالين القديم قد انتهى.

وقالت الأم وهى تزفر أنفاسها فى ضيق :

— أنت تعلمين اننا جربنا النظام الجديد.. استئجار الشغال باليوم.. الطباخ يأتى إلينا مرتين فى الأسبوع ويطبخ لنا فى كل مرة ما يكفينا ثلاثة أيام.. هل تعلمين كم يأخذ فى اليوم الواحد.. جنيهين.. أى أدفع له فى الشهر ستة عشر جنيها.. ورغم ذلك فهو «يلكلك» ويهمل.. انه لا يحس بارتباطه بهذا البيت وهذه العائلة فيقدم لها أى شىء.. والشغال الذى يكنس ويمسح وينفض.. لقد اتفقت مع واحد منهم ليأتى إلينا ثلاث مرات فى الأسبوع.. كل يوم بجنيه.. ثلاثة أيام فى الأسبوع.. اثنا عشر جنيها فى الشهر.. ورغم ذلك يهربون ويشتكون من أن العمل أثقل من أن يتحملوه.

وقالت الابنة مواسية :

— انهم فى الدول المتحضرة استغنوا عن كل الشغالين سواء اشتغلوا بالشهر أو باليوم أو بالساعة.. أفراد العائلة هم الذين يقومون بخدمة أنفسهم.

وصرخت الأم :

— إذن تفضلى يا بنت يا متحضرة وخذى الخيشة والمكنسة وامسحى واكنسى السلم.

وقالت الابنة فى هدوء :

— لست أنا التى أكنس وأمسح.. انها الآلة.. إن الآلات الحديثة تغنيك عن الشغالين.. الغسالة الكهربائية تغنيك عن أم عطية الغسالة.. والمكنسة الكهربائية.. وأدوات المطبخ الكهربائية.. الآلة أصبحت فى خدمة البيت كما أصبحت فى خدمة كل شىء.

وقالت الأم فى قرف :

— هل تجدين هذه الآلات فى مصر.. وإذا وجدتها فهل تعلمين كم ثمن الغسالة الكهربائية.. خمسمائة جنيه.. فهل يستطيع كل بيت أن يجد خمسمائة جنيه ليشترى غسالة.

وقالت الابنة مبتسمة :

— إنها أقرب إلى ثمن التليفزيون الذى أصبح فى كل بيت.. ثم اننا نستطيع شراءها بالتقسيط.. انهم يبيعون السيارات بتقسيط ربع المرتب ويستطيعون أن يبيعوا الغسالة بتقسيط واحد على عشرة أو على عشرين من المرتب.. وستجدين أن قيمة التقسيط أقل من أجر الشغالة أو الشغال.

وقالت الأم فى زهق :

— انك تتكلمين بمنطق ما تقرئينه فى المجلات.. لو كنت ست بيت وبعد أن تتزوجى ستفهمين ما أقاسيه من شغل البيت.

وقالت الابنة ضاحكة :

— لن أتزوج إلا بعد أن أجرى لزوجى امتحانا صعبا.

وقالت الأم فى دهشة :

— امتحان فى ماذا ؟

وقالت الابنة وهى تجرى ضاحكة من أمام أمها :

— امتحان فى الكنس والمسح والطهو وتربية الأطفال.

قالت الابنة لأمها وفى عينيها نظرات حائرة :

— ماما .. لقد قررت أن يعود عصام ويذاكر معى هنا فى البيت.
ونظرت الأم فى دهشة ثم قالت فى غيظ :

— جننتينى يا ابنتى.. لقد سبق أن قضينا أياما نفكر ونتعب أدمغتنا حتى قررنا أنا وأبوك أن نسمح بأن يتردد صديقك على البيت ليذاكر معك.. وبعد أيام قلت انك قررت ألا تدعينه إلى البيت لأنك أصبحت تحسين بضعف نحوه.. ضعف الحب.. وأنت تريدين أن تهربى من الحب.. ثم أصبحت تلتقين به فى حديقة الأورمان لتراجعى معه الدروس كما كنت تقولين.. والآن تريدين أن تعودى به إلى البيت بحجة المذاكرة.. هذا كلام فاض.. لعب عيال.. البيت ليس تحت أمرك.. وليس تحت أهوائك المجنونة.

وقالت الابنة وهى تتنهد :

— يا ماما لقد قررت الاعتراف.

وصاحت الأم فى جزع :

— الاعتراف بماذا.

وقالت الابنة فى خفر :

— الاعتراف بأنى لم أعد أستطيع أن أستغنى عن عصام.

وقالت الأم وقد هدأ جزعها :

— ومتى وصلت إلى هذا الاعتراف؟

وقالت الابنة وهى تبتسم فى حياء :

— لقد بدأت أحس بالضعف نحو عصام منذ التقينا فى الجامعة كزملاء.. ثم اشتد ضعفى عندما دعوته ليذاكر معى فى البيت.. ثم تضاعف ضعفى واشتد أكثر وأكثر عندما أصبحت ألتقى به فى حديقة الأورمان.. واكتشفت أن سبب ضعفى هو أننى أهرب.. أهرب من احساسى نحو عصام.. أهرب من الحب.. ان الهرب من الحب ضعف.. فالحب نفسه قوة.

ونظرت الأم إلى ابنتها فى ذهول وقالت :

— ما هذا الكلام يا مجنونة.. ماذا تقصدين بأن الحب قوة.. هل البنت التى ترتمى على شاب تسمى قوية.. انها بنت خيبة وعبيطة وترمى نفسها فى داهية.

وقالت الابنة وهى تنظر إلى بعيد كأنها تبحث عن المجهول :

— ليس هذا هو الحب يا ماما.. الحب ليس ارتماء على أحد.. الحب هو احساس ذاتى.. تحس بأن ذاتك تحب.. والتى تهرب من الحب فكأنها تهرب من ذاتها.. تهرب من نفسها.. والبنت القوية هى التى تستطيع أن تعيش ذاتها.. أن تعيش الحب دون أن تسقط أو تخسر أو تهان.. وقالت الأم وكأنها تسخر من كلام ابنتها :

— والنتيجة.

وقالت الابنة ساهمة :

— الحب حالة وليس نتيجة.

وقالت الأم وهى مستمرة فى سخريتها :

— ماذا تعنى هذه الحالة يا فيلسوفة الحب.

وقالت الابنة كأنها تحادث نفسها :

— حالة الحب هى حالة اكتفاء ومسئولية.

وقالت الأم فى قرف :

— ما هذه الألغاز تكلمى بما هو مفهوم.

وقالت الابنة الساهمة :

— إن حالة الحب تترك الانسان مكتفيا بما هو فيه.. مكتفية بهذا الرجل لا تتطلع إلى غيره.. ومكتفية بالظروف التى تعيشها مع هذا الرجل حتى لو تمنت تحسن هذه الظروف.. الاكتفاء يعنى السعادة.. فالمرأة التى تحب.. امرأة سعيدة.. وفى الوقت نفسه فالحب يفرض المسئولية.. المرأة مسئولة عن الرجل الذى تحبه.. والرجل مسئول عن المرأة التى يحبها..

وهى ليست مجرد مسئولية مادية.. ولكنها مسئولية نفسية.. أى يصبح كل منهما مسئولا عن اسعاد الآخر.. مسئولا عن الاحتفاظ له بابتسامته وفرحته وثقته بنفسه وقوته.. هذا هو الحب.. أى أن الحب هو اكتفاء ومسئولية.

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى اشفاق :

— أى أنك قررت أن تكونى مكتفية بعصام ومسئولة عنه..

وقالت الابنة فى هدوء :

— هذا صحيح.

وصرخت الأم :

— هذا جنون .. هذا عبط.. هذه أوهام المراهقات اللاتى يعشن فى القصص الخرافية.. كيف ترتبطين بشاب لم يمض على معرفتك به سوى شهور.. ربما وجدت من يشدك إليه أكثر بعد بضعة أشهر أخرى.. وأنت مازلت صغيرة وكل سنة تضاف إلى عمرك تضيف إليك احساسا آخر وفكرا آخر ونظرة أخرى للحياة وللناس.. ان من تعجبين به وأنت فى الثامنة عشرة ليس هو الذى تعجبين به وأنت فى العشرين.. ثم إذا كنت تقولين ان الحب مسئولية فكيف تحملين مسئولية شاب لا تعرفين عنه ولا عن مستقبله ما يكفى لتحمل مسئوليته.. البنت يجب أن تنتظر حتى يستكمل الشاب مسئوليته عن نفسه حتى تقرر إذا كانت تريد أن تشاركه هذه المسئولية أم لا.

وقالت البنت وكأنها لم تسمع شيئا من كلام أمها :

— قلت لك ان الحب حالة.. وأنا فى حالة حب.. هذا كل ما أنا فيه.

— أنت فى حالة.. ولكن لا أنا ولا أبوك ولا أخوك فى هذه الحالة.. ولم نعد نقبل أن تنقلى حالتك إلى داخل البيت وتفرضيها علينا كلنا.

وخرجت ..

وسقط رأس البنت على صدرها كأنها تجهش بالبكاء.

قالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تتوسل إليها :

— تذكرى يا ابنتى أنك كنت تقولين ان كل ما بينك وبين عصام هو زمالة وصداقة.. مجرد صداقة الحب التى بدأت فلماذا لا تنسين قصة الحب التى بدأت بينكما وتكتفين بصداقته.

وقالت الابنة وهى ساهمة :

— لا يمكن .

وقالت الأم فى رجاء :

— لماذا .. إن الصداقة هى العلاقة الحلوة التى أصبحت تجمع بين الجنسين فى الجيل الجديد.

وقالت الابنة فى اصرار :

— لا يمكن .. لأن الصداقة يمكن أن تتطور إلى حب. ولكن الحب لا يمكن أن يتطور إلى صداقة.

وقالت الأم فى عصبية :

— لماذا يا ابنتى .. لماذا ؟

وقالت الابنة فى هدوء :

— لأن الصداقة ترتفع إلى مستوى الحب. والحب يأبى أن ينزل إلى مستوى الصداقة.. افهمينى يا ماما.. ان مطالب الحب تختلف عن مطالب الصداقة.. وقد حاولت فى البداية أن اكتفى بمطالب الصداقة بينى وبين عصام. ولكن مطالب الحب كانت تلح علىّ وتشدنى إلى أن فقدت قدرتى على المقاومة واستسلمت لها و..

وقاطعتها أمها ساخطة :

— ماذا تقصدين بمطالب الحب .. تقصدين الجنس طبعا.

وقالت الابنة وهى تهز رأسها نافية :

— لا .. لا يا ماما .. ان الجنس شىء آخر .. ان

اللقـــاء الجنسى بين الرجـل والمـرأة يمكن أن يمـارس بلا حب وبلا صـداقة أيضـا.. ولكن الحب دنيـا كاملـة.. الحب كما قلت لك اكتفـاء ومسئـولية.. ان اكتفى بـه ويكتفى بى وأكـون مسئولـة عنه ويكـون مسئولا عنى.. وهذا الاكتفاء والمسئوليـة لهما مطالب تختلف اختلافا كبيرا عن مطالب الصداقة.

وقالت الأم فى رجاء :

— جربى يا ابنتى.. جربى الاكتفاء بصداقة عصام.

وقالت الابنة فى عصبية :

— لا يمكن يـا مـامـا .. ان صـديقتى آمـال كـانت تحب محمـود وعاشت فى الحب سنتين ثم اكتشفا انه حـب بلا أمل فقررا أن ينفصلا كحبيبين ويكتفيا بأن يكـونا صـديقين.. ولم يستطيعا.. أصبحت كلما رأته تنظر إليـه كأنه رجل خائن.. وأصبح كلما رآها ينظـر إليها كأنها بنت ضحكت عليه ولعبت به . أصبحت الصـداقة بينهما تعذبهما.. بل أصبحت هذه الصـداقة تكاد تنقلـب إلى كراهية.. فقـررا أن يبتعدا كل منهما عن الآخر.. لاحب .. ولا صداقـة .. وهكذا الحب.. إما أن يستمر وإما أن ينتهى إلى قطيعة .. وأنا فى حالة حب مستمر.

وصرخت الأم :

— لقد سبق أن سمحنـا لعصام بأن يتردد على البيت لأنـه زميلك وصديقك ولا يمكن أن نسمح له بدخول البيت لأنه حبيبك.

وقالت الابنة وهى ترد على صرخة أمها :

— لماذا ؟

وعادت الأم تصرخ :

— لأنه حب حرام.

وصرخت الابنة :

— الحب لا يمكن أن يكون حراماً.. الحب عاطفة راقيـة نظيفـة.. الحرام هو العـلاقـة الجنسيـة غير الشرعيـة.. ولن يكـون بينـى وبين عصـام عـلاقـة جنسية أبدا.

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها ساخرة :

— الحب هو عاطفـة بين رجل وامرأة.. أى بين الجنسين.. أى قائم على لقـاء الجنس.. ان نظـرتـه إليـك جنس.. وضغطـة يـده على يـدك جنس.. وقبلتـه مهما كـانت عـابـرة جنس.. حتى ابتسـامتـه جنس.. لا يمكن أن تكون الابتسـامة التى يـوجهها إليك هى نفس الابتسـامة التى يوجهها إلى أمك.. أو حتى إلى صديقتك.. انها ابتسـامة فيها رغبة وشهوة وأمل فى لقاء جنسى.

وسكتت الابنة برهة كأنها تفكر ثم قالت :

— إذن اعتبرونى مخطوبة لعصام.

وخبطت الأم على صدرها بكفها وصاحت :

— يا مصيبتى.. نعلن خطبتك على شـاب لايزال طالبا ومن عـائلة عادية ولا يعلم أحد مصيره أو مستقبله.

وقالت الابنة فى هدوء :

— ماهى الخطبة ؟. انها لقاء شرعى بين شـاب وفتاة يبدأ بمحاولة الاحساس بالصـداقة.. ثم بمحاولة التطـور بهذه الصداقة إلى الحب.. ثم الوصـول إلى ذروة الحب بالـزواج.. وقد تستمـر الخطبة عـاما أو عـامين إلى أن تصـل إلى الـزواج.. وقـد يفشـل الاثنـان فى محاولتهما فيفسخـان خطبتهما دون أن يكـونا قـد خـرجـا عن الشرع ودون أن يتهمهما أحـد فى سلـوكهما.. وهـذا هو مـا بينى وبين عصـام.. وقـد وصلنا بصـداقتنا إلى الحب وبقى أن نصل إلى ذروة الحب ثم الزواج.

ونظـرت الأم إلى ابنتها فى غيـظ ولوت شفتيهـا فى قرف وقالت :

— إن الخطبة تبـدأ بالاتفـاق على الزواج.. وهـو اتفاق يقـوم على مقاييس لحالـة الشاب الـذى يتقدم للخطبة.. وحـالة عصـام لا يمكن أن تقنعنى أو تقنع أباك بالموافقة على زواجكما ولذلك لا يمكن أن نوافق

على اعلان خطبتكما.. ثم مـن قال لك ان الخاطب لا يلتقى بمخطـوبته ومعها ثالث ليحميها من اغراء الجنس.

وقالت الابنة وهى تكاد تبكى :

— يا ماما انى أحبه.

وصرخت الأم :

— الحب لا يدخل البيت.

وقفزت الابنة خارجة من الغرفة.

وقالت الأم وهى تطلق عينيها وراءها :

— إلى أين ؟

وقالت الابنة وهى تجرى :

— مادام الحب لا يدخل البيت فسألتقى به فى الشارع.

***

قالت الأم وعيناها تطلقان شرارات الغضب :

— أين كنت ؟

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— فى الشارع.

وصاحت الأم :

— فى الشـــارع حتى السـاعـــة العـاشرة.. مـــاذا كنت تفعلين فى الشارع.. هل كنت تقفين تحت فوانيس النور كما تفعل الساقطات.

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— كنت فى الشارع مع صديقى عصام.

وعادت الأم تصرخ :

— ماذا كنتما تفعلان فى الشارع.

وقالت الابنة وهى تلتقط أنفاسها فى زهق :

— لا شىء فكرت فى أن أدعـوه إلى هنا فى البيت.. ولكنكم حرمتم علىّ دعوتـه.. ولم أقبل أن أذهب إليه فى بيته حتى لا أزعج أمه واخـوته.. وقررنا أن نسير

فى الشـارع ونأكـل ذرة مشـوى ونقـزقز لـب.

وهدأت الأم وتنهدت كأنها تستجير بالله وقالت :

— أى أصبحت المشكلة الآن هى مشكلة الشارع.. كيف ننقذك من الشارع حتى لا تضيعى أوقات المذاكرة.

وقالت الابنة وهى تبتسم ساخرة :

— لا أمل فى انقاذى إلا إذا اعترفتم بصداقتى لعصام أو أعلنتم خطبتنا.

وقالت الأم فى حسرة :

— الاعتراف بالصداقة أرحم.

وقالت الابنة وابتسامتها تتسع :

— على كل حال فالخطبة هى اعتراف شرعى بـالصداقة بين الرجل والمرأة.. هل تعرفين صديقتى سهير لقـد مضى على صداقتها لمحمود أكثـر من عـامين وهما ليسا مخطـوبين ولم يعلنـا خطبتهما ورغم كل ذلك فكل الناس أصبحوا يعاملـونهما على انهما مخطوبان.. بل أصبح الناس يدعونهما معا فى الحفلات والزيارات.. معنى هذا أنه ليس هناك فارق بين الصداقة المعترف بها والخطبة.

وقالت الأم فى حدة :

— إن مشكلتك لم تعد مشكلة صداقة ولا خطبة انها مشكلة حب.. لقد اعترفت بأنك أصبحت تحبين عصام.

وقالت الابنة كأنها تشفق على أمها :

— يا ماما ان الفـارق الاجتماعى فى علاقة الرجل بالمرأة هو السريـة أو العلنية.. وسواء كانـت العلاقة هى صداقـة أو خطبة فالمهم هل هى علاقـة علنية أم سرية. هـل يظهر الاثنـان أمام النـاس بعلاقتهما أم يختفيان بها..

وقالت الأم ساخرة :

— مـا هو الفـارق أيتهـا العبقـرية بين السريـة والعلنية؟

وقالت الابنة فى حماس :

— الفارق كبير.. إن العلاقة السرية معناها أن كلا منهما يخاف الناس وأن بينهما فضيحة أو خطيئة يريدان اخفاءها عن الناس.. أما العلنية فمعناها أن كلا منهما يفخر بعلاقته بالآخر ويتباهى بها أمام الناس.. وليس بينهما ما يخفيانه عن الناس أو يمكن أن يفضحهما فى المجتمع.. سواء ما كان بينهما صداقة أو حبا أو خطبة.

وقالت الأم وهى تنظر فى عينى ابنتها :

— وأنت فخورة بحبك لعصام.

وقالت الابنة فى فرحة :

— جدا..

وعادت الأم تقول :

— لم يحدث بينكما ما تخفيانه عن الناس أو عنى.

وقالت الابنة كأنها تزغرد :

— أبدا .. أبدا.

وسكتت الأم برهة سارحة تفكر ثم قالت :

— وماذا تريدين منى أن أقول لأبيك.. هل أقول له ان ابنتك أصبحت تحب عصام وأنها تريد أن تعود وتدعوه إلى البيت ليذاكر.

وقالت الابنة مسرعة :

— لا..لا..لا تقولى له انى أحب أو لا أحب .. قولى له فقط أنى أريد أن أعود إلى دعوة عصام.. واتركى له أن يكتشف باحساسه ما بينى وبينه.

وقالت الأم فى دهشة :

— وكيف يكتشف ؟

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها :

— إن الرجل باحساسه يستطيع أن يكتشف أحاسيس الرجل الآخر..

وقالت الأم وهى لاتزال فى دهشتها :

— وإذا اكتشف أن عصام يحبك و نك تحبينه.

وقالت الابنة فى هدوء :

— سيبارك هذا الحب بينه وبين نفسه.

وصاحت الأم :

— كيف يباركه.. كيف يثق فى عصام.

وقالت الابنة فى اصرار :

— انه يثق فى أنا.. وثقته فى تجعله يثق فى عصام.. ان بابا كانت حياته كلها نظيفة تجعله قادرا على أن يفرق بين الخير والشر ولايفترض السوء لمجرد أن الحياة كلها سيئات.. ان الانسان الذى يفترض السوء هو إنسان عاش السوء.. ان جارنا الأستاذ توفيق يغار على بيته وبناته إلى حد أنهن يعشن معه فى خوف دائم.. هل تعرفين لماذا.. لأنه هو نفسه فى شبابه وحتى بعد زواجه كان زير نساء.. وله قصص كثيرة مع كثير من البنات والنساء.. فأصبح يتصور أن كل ما فعله مع النساء يمكن أن يفعله رجل آخر مع بناته.. أصبح يتصور أن كل من ينظر إلى ابنته فكأنه يدعوها إلى الفراش.. وكل من يلمس يدها فكأنه يهم بأن ينتهك عرضها.. وأصبح يعتبر أن كل بنت يمكن أن تعطى كما كانت بنات الناس تعطيه.. انه يفترض السوء قبل أن يثبت له.. لذلك فهو يضيق الخناق على بناته حتى أصبحت كل منهن تفكر فى الهرب من البيت ومنه.. أصبحت كل منهن تفكر فى السوء فعلا.. وأصبح كل رجل بالنسبة لها هو الرجل الذى يصوره الأب لهن.. رجل يأخذهن.. أنه أب لا يثق فى بناته ولذلك لا يثق فى أى شاب أو رجل يقترب من بناته.. أما بابا فهو شىء آخر.. لأنه يفترض الثقة إلى أن يثبت له العكس.. إنه هو نفسه عاش نظيفا.

وقالت الأم وهى تبتسم فى فرحة :

— لك حق يا ابنتى .. أبوك شىء آخر.

وقامت الابنة بسرعة وهى تضحك .. وقالت الأم :

— إلى أين ؟

وقالت الابنة الضاحكة :

— سأتصل بعصام فى التليفون وأدعوه إلى البيت.

وقالت الأم مبتسمة :

— آه منك .. وآه.

* * *

قالت الأم لابنتها ووجهها يلمع بالفرحة :

— هل سمعت الخبر.. لقد انتخبونى مقررة للجنة العلاقات العامة بالتنظيم النسائى.

وقالت الابنة فى برود :

— مبروك.

وقالت الأم فى حماس :

— اريدك أن تكتبى لى كلمة القيها فى اجتماع الأسبوع القادم بمناسبة انتخابى.

وقالت الابنة وهى أشد برودا :

— لماذا لا تكتبينها بنفسك.

وقالت الأم محتجة :

— ليس فى العالم كله امرأة لها شخصية عامة وتكتب الكلمة التى تلقيها بنفسها.. حتى مسز تاتشر رئيس وزراء بريطانيا لها من يكتب الخطاب الذى تلقيه فى كل مناسبة.

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى استهانة :

— إن مسز تاتشر مشغولة فلا تجد وقتا لإعداد الخطاب الذى تلقيه، وتستعين بكاتب يسمى «كاتب الظل» ـ أو «قلم الظل» لأنه يكون ظلا لمن يكتب له.. وأنت لست مشغولة وأنا لا أريد أن أكون ظلا لك.. أريد أن أذاكر يا ماما.

وقالت الأم فى توسل وهى تنحنى وتمسح على شعر ابنتها :

— من أجل خاطرى يا ابنتى.. انك دخلت الجامعة وتستطيعين أن تشرفى أمك بكلمة تلقيها فى الاجتماع.

وقالت الابنة وهى تنفث أنفاسها فى زهق :

— حاضر .. سأكتب .. ماذا تريدين أن تقولى بهذه الكلمة.

وقالت الأم فرحة باستسلام ابنتها :

— أى كلام.. أنت تعرفين ما يمكن أن يقال فى مثل هذه المناسبات..

وقالت الابنة فى عصبية :

— لا يمكن أن يقال أى كلام.. يجب أن نجد موضوعا نعرضه فى الكلمة التى نلقيها.. حدثينى عن أخبار التنظيم لعلى أجد موضوعا للكلمة.

وقالت الأم وصوتها يلعلع كأنها تزغرد :

— الأخبار لا تنتهى .. مدام فردوس جاءت إلى الاجتماع الأخير وهى ترتدى ثوبا يجنن.. رائع.. يهبل.. ورفضت أن تقول لنا من أين جاءت به.. ولكننا تأكدنا أن الثوب جاءها من الخارج من ابنتها زوجة مستشار السفارة.. وتصورى الست تفيدة جاءت وهى ترتدى بنطلون.. عبيطة.. انها سمينة والبنطلون يجعلها كأنها برميل بترول.. مضحكة.. كأنها الممثل المضحك هاردى يسير وهو يبحث عن لوريل.. وعندما وقفت بجانب سنية هانم وهى.. كما تعلمين رفيعة وقصيرة أصبحتا هما الاثنتان كأنهما فعلا لوريل وهاردى.

وعنايات دعتنا إلى اجتماع قهوة حريمى يوم السبت القادم.

ولوت الابنة شفتيها فى قرف وقاطعت أمها قائلة :

— هل هذه أخبار تقال عن التنظيم النسائى.

وقالت الأم فى فتور :

— هذه هى أهم الأخبار أما الأخبار الرسمية فمعروفة.

وسرحت الابنة بفكرها برهة ثم قالت فى حماس كأنها اكتشفت اكتشافا خطيرا :

— اسمعى يا ماما.. هناك موضوع متعلق بالأزياء النسائية يجب أن تثيريه.

وقالت الأم فى دهشة :

— أى موضوع ؟

وقالت الابنة وهى أشد حماسا :

— موضوع الخمار أو البشنيقة التى أصبحت منتشرة هذه الأيام بين البنات والنساء.. يلففن رؤوسهن بطرحة تغطى خدودهن وأعناقهن وتتدلى حتى أكتافهن.

وقالت الأم فى فتور :

— كل امرأة تلبس وتتزين بما تريد مادامت لا تكشف عن عورة.

وقالت الابنة مستمرة فى حماسها :

— اسمعينى يا ماما.. إن هدى شعراوى عندما نادت بإلغاء الحجاب لم تحدد ماذا يحل محل الحجاب ليغطى رأس المرأة.. هل هى القبعة.. أم الطرحة.. أم البونيه.

وقالت الأم فى جدية :

— لقد كانت هدى شعراوى تدعو إلى تحرير المرأة وهى تدعو إلى الغاء الحجاب. ولكن ليس من حقها أن تفرض ذوقها على المرأة وتختار لها الثوب الذى ترتديه بعد الغاء الحجاب.

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها كأنها تلح عليها أن تقتنع

— يا ماما ان المرأة ستبقى حرة فى اختيار زيها.. سواء اختارت البشنيقة التى تغطى الشعر والوجنتين والعنق أم اختارت البيكينى الذى يكشف عن البطن والفخذين.. ولكنى أتكلم عن الزى الذى نعترف به.. الزى الذى تضعه المرأة

بصفتها الاجتماعية الرسمية.. والملاحظ حتى اليوم أن البشنيقة أو الخمار ليس معترفا به رسميا.. بل يكاد يكون مرفوضا كزى لرأس المرأة ووجهها.. وليس بين السيدات اللاتى يتولين مناصب رسمية من تلف رأسها بالبشنيقة.. لم تظهر وزيرة بالخمار.. ولا نائبة من عضوات مجلس الشعب.. ولا زوجة من زوجات الوزراء أو ابنة شخصية رسمية.. بل قيل انه كان ممنوعا فى الانتخابات الأخيرة التى اشتركت فيها المرأة ترشيح أو انتخاب أى امرأة تلف حول رأسها بشنيقة.

وقالت الأم معترضة :

— لماذا .. ان البشنيقة زى يتفق والتعاليم الدينية.

وقالت الابنة فى حماس.

— إن الله لم يرسل مجلة أزياء تتقيد بها المرأة.. الدين يدعو إلى عدم الكشف عما يثير الاغراء.. وإذا افترضنا أن شعر المرأة كان يثير الاغراء فى هذه الأيام بقدر الاغراء الذى يثيره شعر الرجل.. فإذا كشفنا عن شعر الرجل فقد أصبح من حق المرأة أن تكشف عن شعرها.

وقالت الأم فى اصرار :

— بصرف النظر عن تعاليم الدين.. فإن البشنيقة هى الزى الشعبى الذى تتمسك به الفلاحة المصرية فلماذا لا نعترف بالزى الشعبى ويصبح زيا رسميا .. وأن نتمسك بزى الفلاحة بدلا من أن نقلد زى الأجنبيات ..

وقالت الابنة وهى أشد اصرارا من أمها :

— ان الفلاحة تضع الخمار أو البشنيقة لأنه يتلاءم مع طبيعة عملها .. ان البشنيقة تحمى شعرها ووجهها من أتربة الحقل ومن آثار تنقلها بين المزروعات .. ولكن المرأة فى المدينة ليست فى حاجة إلى هذه الحماية ..

وقالت الأم فى سخط :

— ولكن لماذا نثير كل هذه الأهمية حول البشنيقة .. لماذا لا نعترف بها سواء شعبيا أو رسميا .. والوزيرة أو النائبة حرة فى أن تتبشنق أو لا تتبشنق ..

وقالت الابنة فى غيظ :

— يا أمى ان البشنيقة هى ما كانت تسمى بالخمار .. والخمار كان زى المرأة أيام الحريم .. أيام كانت المرأة مجرد جسد لمتعة الرجل ولذلك فالرجل يلفه ويغطيه كما يلف ويغطى صينية البسبوسة أو طبق المهلبية .. وقد انقضى عهد الحريم ويجب أن ينقضى معه عهد الخمار. دعينى أكتب ذلك فى الكلمة التى ستلقينها فى اجتماع التنظيم النسائى .

وقالت الأم فى عصبية :

— لا . أنا لست موافقة على هذا الكلام ..

وقالت الابنة فى دهشة لاصرار أمها :

— ولكنك لا تضعين حول رأسك البشنيقة أو الخمار أو الطرحة فلماذا تعارضين .

وقالت الأم ساخطة :

— سأضع البشنيقة ..

وقالت الابنة وكأنها تحذر أمها :

— سيطردونك من التنظيم لو رأوك بالطرحة ..

وقالت الأم فى قرف :

— ليطردونى ..

وقالت الابنة وهى تقوم وتخرج من الغرفة :

— أحسن .. حتى تعفينى من كتابة كلام لا معنى له ولا موضوع..

قالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها وهى تقرأ :

— لماذا تعقدين حاجبيك وأنت تقرئين .. لا تعودى نفسك هذه العادة .. انها تشوه جمال وجهك ..

وقالت الابنة :

— انها ليست عادة ولكنى أقرأ فى موضوع يعقد بلدا .. يعقد حواجب الناس كلهم ..

وقالت الأم فى بساطة :

— ماذا تقرئين ؟

— وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— أعيد قراءة قانون الأحوال الشخصية الجديد ..

وقالت الأم ساخرة :

— ماذا يهمك لتعيدى قراءته .. أنت لست زوجة حتى تنوى الطلاق .. وأهم ما فى هذا القانون الجديد هو موضوع الطلاق ..

وقالت الابنة وهى تحاول أن تعود إلى القراءة :

— خطر على بالى سؤال أبحث له عن جواب ..

وقالت الأم وهى تجلس بجانب ابنتها كأنها تنوى أن تتسلى بالدردشة :

— أى سؤال ؟!

وقالت الابنة وهى تلقى بالأوراق من يديها وتستسلم لامها :

— ان القانون يفرض أن يتخلى الزوج للزوجة عن المسكن بعد الطلاق إذا كانت حاضنة لأولادها ولنفرض أن أم الزوج كانت تعيش معه فى نفس البيت . وأن سبب الطلاق كان عدم التفاهم بين الأم والزوجة . فماذا يفعل الزوج بأمه بعد الطلاق .. لو كان وحده فانه يستطيع أن يترك المسكن ويقيم فى أى مكان ولكن ماذا يفعل بامه .. هل يأخذها معه إلى الشارع أم يكون لها حق البقاء فى البيت مع الزوجة المطلقة .. خصوصا إذا كانت الشقة باسم الزوج ..

وقالت الأم متحمسة :

— أنا لا أفهم فى القانون ولكنى فى هذه الحالة أرى أن تبقى الأم فى البيت ولا تتركه . لأن الطلاق تم بين الزوج والزوجة وليس بين الزوجة وحماتها .. ليخرج هو من البيت ويترك أمه

وقالت الابنة فى ثورة :

— هذه تكون مصيبة تقع على رأس الزوجة المطلقة إذا تركتها تعيش فريسة بين أنياب حماتها التى كانت سبب الطلاق.

وقالت الأم فى تحد :

إذن ليبحث لمطلقته وأبنائه عن شقة أخرى ويترك أمه . فى حالها ..

وقالت الابنة فى غيظ :

— ولماذا لا يبحث لامه عن الشقة الأخرى ويترك زوجته وأولاده المجنى عليهم فى حالهم ..

وقالت الأم ساخرة :

— انه لن يجد شقة لامه ولا لزوجته إلا إذا كان مليونيرا .. والقوانين لا توضع لخدمة أصحاب الملايين وحدهم .

وقالت الابنة فى حيرة :

— والحل ؟!

وقالت الأم وهى تبدو كأنها أستاذة فى علم الاجتماع :

— الحل الوحيد هو أن تتعود الزوجة المطلقة وحماتها السابقة على أن تعيشا فى بيت واحد كأن كلا منهما غريبة عن الأخرى .. كأنهما تعيشان فى بنسيون كل منهما تستأجر فيه غرفة .. ولا تتبادلان الكلام .. لا صباح الخير ولا مساء الخير.

وسكتت الابنة برهة وهى ساهمة ثم قالت :

— هل تعلمين أن هذا يحدث فعلا قبل صدور القانون وبسبب أزمة المساكن ..

وقالت الأم فى دهشة :

— كيف ؟!

وقالت الابنة فى هدوء :

— انى أعرف زوجا وزوجة مطلقين وكانت الشقة باسم الزوجة فاشترط الزوج قبل الطلاق أن يقيم فى شقة زوجته إلى أن يجد لنفسه شقة .. وقبلت الزوجة .. وقد مر عامان والمطلق لا يزال يقيم مع مطلقته .. وهذا يحدث كثيرا خصوصا إذا كان أحد الزوجين غريبا عن مصر .. سواء من بلد عربى أو من بلد أجنبى .. حتى أصبح الانسان قد يدخل بيتا وهو لا يدرى هل أصحابه زوجان أم مطلقان ..

وقالت الأم وهى لا تزال فى دهشتها :

— ولو أراد أحدهما أن يتزوج .. المطلقة أو المطلق .. فماذا يكون الحال ؟

وقالت الابنة فى سخط دفين :

— يحلها حلال .. على كل حال أن تعديل قانون الأحوال الشخصية تعديل ناقص فى كثير من بنوده ..

وقالت الأم فى لهفة :

— كيف ؟!

وقالت الابنة فى ثقة :

— مثلا .. ان القانون بعد التعديل ينص على ألا يتم الطلاق إلا بعد ابلاغ الزوجة رسميا به .. أى على يد محضر .. فلو فرضنا أن الزوج طلق زوجته فعلا ثم تعمد ألا يبلغها لغرض فى نفسه .. وظل يقيم معها.. انه فى هذه الحالة يصبح مطلقها شرعا وزوجها قانونا .. أى يعيش معها فى الحرام والقانون يعترف ويوافق على هذا الحرام ..

وقالت الأم وكأن ابنتها كشفت لها عن سر خطير :

— كيف يمكن أن نتغلب على هذا التلاعب بالشرع والقانون ؟

وقالت الابنة كأنها أصبحت أكبر من أمها :

— كان يجب أن ينص فى التعديل على ألا يكون للزوج حق الطلاق إلا أمام القاضى .. قضية .. أن

الـزوجـة إذا أرادت الطلاق فيجب أن تذهب إلى المحكمة فلماذا لا ينزل الرجل إلى مستوى حق المرأة ..

وقالت الأم ساخرة :

— فى هذه الحالـة يجب أن يتم أيضا تعـديل شكل المحكمة .. فهم يقـولون أن القضـاة دائماً رجـال وهم لذلـك يتحيزون للـرجل .. أى للزوج .. فاما أن تشكل المحكمة من شخصيات نسائية .. أى أن يكون القضاة نساء أو على الأقل يكون نصف أعضـائها نساء والنصف من الـرجال .. وعلى كل حـال يا ابنتى .. لا تنسى أن الشرع يعطى الـرجل حق الطـلاق بمجرد كلمـة تخرج من فمه .. والشرع هـو الحلال مهما وضعنا من قوانين ..

وقالت الابنة فى حدة :

— ان القـانـون لا يعتـدى على الشرع ولكنـه يحمى الشرع من الاستغلال والاستهانة .. ان الشرع نفسه يحمى نفسه عندما يقول ان كلمة الطلاق عندما تخرج من فم رجل سكران تعتبر باطلة ..

وقالت الأم كأنها تخفف من حدة ابنتها :

— ان الـزواج يا ابنتى هـو رباط بين شخصين بـارادتهما .. ولن يستطيع الشرع ولا القانون أن يحميا هـذا الزواج لو رفضته الارادة .. وانظرى إلىّ أنا وأبيك .. اننا نعيش زوجين منذ خمسة وعشرين عاما .. لماذا .. لأن ارادتنا تريد أن نعيش معا العمر كله ..

وقالت الابنة وهى تقوم ساخطة :

— أنا لن أتزوج أبدا ..

وقالت الأم فى جزع :

— لماذا يا حبيبتى ..

وقالت الابنة وهى تجرى

— لأن هناك طلاقا ..

قالت الابنة فى سخط :

— هل سمعت بما حـدث لابـراهيـم ابن طنط سعاد ..

وقالت الأم وهى مشغولة بابرة التريكو :

— ماذا حدث له ؟

وقالت الابنة الساخطة :

طرده أبوه من البيت ..

ورفعت الأم رأسها وقالت فى دهشة :

— لماذا ؟

وقالت الابنة وكأنها تصرخ :

لأنه مصمم على أن يتزوج فتحية ..

وقالت الأم وهى تلقى بـابرة التريكو كأنها تريـد أن تتفرغ لسماع قصة مثيرة :

— ولماذا يرفضون زواجه من فتحية ؟

وقالت الابنة فى عصبية :

— يقولون أن سمعتها ليست نظيفـة .. والناس تتكلم عنها .. وقد سبق أن كانت مخطوبة وفسخت خطبتها .. ثم أنها أكبر منه ..

وقالت الأم فى هدوء :

— إذا كـان هذا الكـلام صحيحـا فلهم الحق فى رفض زواج ابنهم منها ..

وصرخت الابنة :

ولكنهم يعـرفـون أن ابنهم يحب فتحيـة .. وقـد مضى على حبهما عـامـان .. وكـان يخرج معهـا ويدعوها إلى البيت ويقدمها إلى أمه وأبيه .. ثم بعد أن تخرج فى الجامعـة يـريـد أن يتـزوجهـا .. فكيف يرفضون الزواج بعـد أن كانوا موافقين على الحب .. كانـوا فرحين بعلاقة ابنهما بفتحيـة بلا زواج فلماذا يـرفضـون الـزواج .. لماذا يـرحبـون بـالحرام ويرفضون الحلال ..

وقالت الأم وهى لا تزال هادئة :

— لا حلال ولا حرام .. ولكن الحب شىء آخـر .. الحب علاقة بين اثنين .. قد يدوم أو يزول .. ولكن الزواج علاقة بين الاثنين والمجتمع.. والحب هو حالة ولكن الزواج هو بناء للمستقبل كله .. ولذلك فالزواج يتطلب شروطا ومواصفات قـد لا يحققها الحب المجرد .. والأهل قد لا يتدخلون فى علاقة حب يرتبط بها ابنهما لأنها عـلاقة خاصة .. علاقة أحاسيس ملك لاصحابها .. ولكنهم يتدخلـون فى موضوع الزواج لأن الزواج ليس عـلاقة خاصة ولكنـه علاقة اجتماعية عـامة تمس الأهل وتشرفهم أو تفضحهم ..

وارتفع صراخ الابنة :

— هذا كلام فاض .. ان الزواج كالحب يقوم على علاقة بين اثنين.. رجل وامـرأة .. لا يمكن أن يـواجـه الـزوجـان المجتمع إلا إذا ارتبط أحدهما بالآخر أولا وكانت العلاقـة بينهما علاقة حلوة قوية .. ولكنها انانية الأهل .. خصـوصا أهل الولد .. لا مانـع عند الأهل من أن يرتبط الابن بأى امـرأة سواء كـانت محترمة أو غير محترمـة مادام ارتبـاطا لا يـؤدى إلى زواج .. فقـط ليمتع نفسـه بهذه الفتـاة .. بل أن بعض الأهالى يفخرون بأن الابن على علاقـة بأكثر من فتاة .. وأن كل البنات تموت فى دباديب ابنهم « الـدون جوان » .. ولكنه إذا قـرر الزواج فهم لا يفكـرون فى متعتـه ولا فى هنـائه ولا فى مستقبلـه انما يفكـرون فى أنفسهم فقـط .. مـا يشرفهـم ومـا لا يشرفهم .. ويعودون إلى المقاييس القديمة .. ابنة من هذه الفتاة ومـاذا سيقـول الناس عن هـذا الـزواج .. و .. و .. الأهل يفكرون فى أنفسهم فقط لا فى سعادة ابنهم ..

وقالت الأم وهى ترد على صراخ ابنتها :

— ولكن تقولين أن سمعتها سيئة ..

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— ومن أدراهم بحقيقـة هـذه السمعـة .. ربما

كانت مظلـومة .. ان ستنا مـريم اتهمت يوما بسـوء السمعة .. وحتى لو كـانت أخطأت فربما يجعل الخطأ منهـا ملاكـا .. وربما تتعمد أن تكـون زوجة مثـاليةوتسعـد زوجهـا حتى تكفر عن خطئهـا وتنظف سمعتهـا .. والمهم انه مضـى عـامان وإبـراهيم يحب فتحية .. وكـان لا يمكن أن يستمر هذا الحب ثـم يصل إلى حد الاصرار على الزواج إلا إذا كانت فتحية قد اقنعت إبراهيم بشخصيتها وأخلاقها وعقلها ..

وقالت الأم كأنها ترفض الاقتناع :

— انك قلت إنها أكبر منه سنا ..

والأكبر هو الأشطر .. وربما أقنعته بالزواج بشطارتها ..

وقالت الابنة محتدة :

— انها أكبر منه بعـام واحد .. ثم أن توافق الشخصيـات لا يعتمد على السن .. قـد يكـون الـرجـل فى الاربعين وتتـوافق شخصيتـه مع شخصيـة فتـاة فى العشرين ويتـزوجهـا ويعيشـان وكأنهما فى سن واحـدة .. فإن كانـت فتحية أكبر من إبـراهيم بعـام فهـذا لا يؤثـر فى توافقهما .. انما شرط السن كان يوضـع كمقياس للمتعة .. هل يتزوج الرجل جسدا صغيرا أم جسدا عجوزا ..

وقالت الأم كأنها تريد أن تنهى الحديث :

— وماذا فعل إبراهيم بعد أن طرده أبوه من البيت ..

وقالت الابنة وهى تهز كتفيها باستهانة :

— ولا أهتم .. بل انـه قـال أن ابـاه حـر مـادام لا يـريـد أن يعيش معه ومع زوجتـه فى بيت واحـد وسيتزوجان ويعيشان فى بنسيـون .. وأنا واثقة انه بعد بضعة أشهـر وبعد أن تقتنع الأم والأب بسعادة ابنهما بهذا الـزواج فـانهما سيفتحـان البيت لهما .. هـكذا يحدث دائما تحت الحاح عـاطفـة الامـومـة والابوة ..

وسكتت الأم برهة ثم قالت وكأنها فى جزع :

— هل تعتقدين أن أخاك محمود يمكن أن يتزوج هو الآخر صديقته عائشة ؟..

وقالت الابنة وكأنها تزغرد :

— ياريت ..

وقالت الأم كأنها تهم بالبكاء :

— تبقى مصيبة ..

* * *

قالت الابنة وقد عادت من الجامعة والقت حقيبتها فى عصبية :

— كنت اليوم سأضيع فى خناقة .. وقالت الأم بلا اهتمام كأنها تعودت على مفاجآت ابنتها :

— خير ..

وقالت الابنة وهى تتنهد فى ندم :

— حاولت أن أكون بطلة وحامية حمى الأخلاق فوقعت المصيبة على دماغى ..

وقالت الأم بلا إلحاح :

— ماذا حدث ؟.

وقالت الابنة والغيظ ينطلق من عينيها :

— لقد كنت واقفة أمام محطة الاتوبيس وكانت تقف بجانبى فتاة ترتدى ثوبا طويلا له أكمام كاملة رغم إننا فى عز الحر وتضع فوق رأسها وحول وجهها بشنيقة أو طرحة بيضاء تتدلى حتى كتفيها ونظرت إليها وأنا أبتسم ابتسامة اشفاق ، ويظهر أن نظرتى طالت فقد اقتربت منى الفتاة تسألنى .. لماذا تنظرين إلىّ .. فقلت لها اننى أشفق عليها ..

وقالت الأم فى قرف ..

— مالك ومالها.. تشفقين عليها أو لا تشفقين.. انك دائما تحشرين نفسك فيما لا دخل لك فيه ..

وقالت الابنة فى عصبية :

— لقد كنت أشفق عليها فعلا .. انها بالزى الذى

ترتديه والحجاب الذى تضعه على رأسها تبدو كأنها فتاة محافظة متطرفة فى تعاليم الدين وأوامر المشايخ .. ورغم ذلك فانها ستركب الاتوبيس وتقف ملتصقة بعشرات الرجال كل منهم يتعمد أن يلصق نفسه بها ويتحسس جسدها بجسده ويمر بأصابعه على أماكن حساسة منها .. وضاعت المحافظة وضاعت تعاليم الدين .. وقد قلت لها هذا الكلام .. فقالت ان الله لا يحاسبها على الاعتداء عليها فى الاتوبيس ..

وقالت الأم بسرعة :

— لها حق ..

وصاحت الابنة محتجة :

— كيف يكون لها حق .. انها عبيطة وحمارة .. انها تلبس الثوب الطويل وتلف رأسها بالبشنيقة لتحمى نفسها من النظرات الجارحة .. وحتى لا تثير الفتنة بين الرجال .. وبعد هذا تركب الاتوبيس وهى تعلم انها ستعرض نفسها للمسات والاحتكاكات الجارحة .. وتشعل نار الفتنة فى أجساد الرجال .. أى أنها تحمى نفسها من النظرات ولا تحمى نفسها من اللمسات والاحتكاكات الجسدية .

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها مجنونة :

— وماذا كنت تريدينها أن تفعل ؟

وقالت الابنة فى اصرار :

— مادامت تعتبر نفسها فتاة محافظة متدينة فكان يجب ألا تركب الاتوبيس .. انها تقول إن الله لا يحاسبها على الاعتداء عليها ، ولكن الله سيحاسبها لأنها تعرض نفسها للاعتداء عليها ..

وقالت الأم معترضة :

— ولكنها فى حاجة إلى الاتوبيس لتصل به إلى الجامعة ..

وقالت الابنة ساخطة :

— تمتنع عن الـذهاب إلى الجامعة وتبقى فى البيـت لتحمى نفسها داخل جدرانـه ، مادامت تـرفض أن تكون ككل البنـات وتلبس الثياب العادية لتتحرر وتستطيع أن تدافع عن نفسها داخل الاتوبيس ..

وقالت الأم ساخرة :

— وماذا حدث بينك وبينها ؟.

وقالت الابنة فى قرف :

— لقد قلت لها كل هـذا الكلام وردت على فى وقاحة إلى حـد أن بدأ صوتها يعلو على صوتى ودخلنا فى خناقـة والناس ملتفة حولنا تتفرج علينا .. إلى أن جـاء الاتوبيس فتركتهـا تركب وحـدها ورأيت الـرجال يفسحون لها درجات السلم كأنهم الفك المفترس يهم بالتهامها .. وقد دفعنى هذا الحادث إلى الدخول فى مشروع جديد .

وقالت الأم فى دهشة :

— أى مشروع .. هل ستكـونين جيشـا من النســاء لحمايـة المرأة داخل الاتوبيس ..

وقالت الابنة وهى ساهمة تفكر :

— لا.. سأشترى سيارة .

وقالت الأم ساخرة :

— ومن أين ستأتين بثمنها يا حبة عين أمك ...

وقالت الابنة فى حماس :

— سيارة شركة .. اسمعى يـا ماما .. ان شركات كثيرة أصبحت تملك أتـوبيسات خـاصة لتـوصيل مـوظفيهـا نظير ايجار شهـرى بسيط.. فلماذا لا يشترى كل حى أتوبيسـا خاصـا يشترك فى ثمنه كل أهـالى الحى ويدفع كـل منهم مبلغا بسيطـا كل شهر لصيانته .. وبـذلك يحلون مشكلة المواصلات ويحمون بناتهم من اللمسات المحرمة ..

وقالت الأم ضاحكة سيتحطم أتوبيس الحى بعد أسبوع واحد ..

وقالت الابنة فى دهشة :

— لماذا ؟

وقالت الأم ضاحكة :

— بسبب خناقات أصحابه أهالى الحى ..

وقالت الابنة جادة :

— لقد اتفقت مع خمس من صـديقاتى فى الجامعة على أن نشترى سيارة مشتركـة .. سيارة نصر صغيرة .. ونتعلـم كلنا قيـادة السيارة ونستغنى بها عن مرمطة الاتوبيسات ..

وقالت الأم فى يأس :

— ومن أين ستأتى كل منكن بنصيبها من الثمن ؟

وقالت الابنة فى حماس :

— سنقترض من بنك الطلبة بضمان أب كل منـا .. وبابا يستطيع أن يخصم منى أجر المواصلات ويدفعه اخر السنة تسديدا للدين ..

وقالت الأم ساخرة :

— عليك أولا أن تسـافـرى إلى أمـريكـا وتبحث عـن عمل هنـاك وتقبضى أجرك بالـدولار .. لأن السيارة فى مصر حتى السيارة النصر أصبحت تبـاع بالـدولار إذا أردت أن تستلميهـا فورا .. أمـاإذا دفعت بـالجنيـه المصرى فعليك أن تنتظرى دورك .. وقـد تنتظـرين عـامين وتكـونين قـد تخرجت فى الجامعـة وتنفض الشركـة بينك وبين زميلاتك ..

وقالت الابنة وهى تتنهد فى يأس :

— انك دائما يـائسة وتصـدين نفسى .. على كل حال هناك طريق أسهل ..

— وقالت الأم وهى تبحلق فى عينى ابنتها :

— أى طـريق .. هـل ســتركبين بسكليت أو موتوسيكل ..

وقالت الابنة :
— لا .. سأبحث عن شاب يملك سيارة ..
وصرخت الأم :
— اخرسى .. قطع لسانك ..
قالت الابنة ورموشها تهتز فوق عينيها فى دهشة :
— هل سمعت حكاية مشيرة .. ؟
لقد فسخت خطبتها إلى عثمان بعد كل هذه الضجة التى ثارت حولهما ..
وقالت الأم وهى لا ترفع عينيها عن ابرة التريكو :
— لماذا فسخت الخطبة وهى غارقة فى دهشتها :
— لسبب لا يمكن أن يخطر ببالك ..
وقالت الأم فى برود :
— أى سبب ؟
وقالت الابنة الغارقة فى الدهشة :
— حذرى ..
وقالت الأم وهى لاتزال تلعب بأصابعها بابرة التريكو :
— لا داعى لأن احذر .. أن هناك ألف سبب لفسخ الخطبة .. وفسخ الخطبة يعتبر حدثا عاديا . وهو على الأقل أرحم من الطلاق ..
وقالت الابنة فى غيظ :
— ولكن مشيرة فسخت خطبتها لسبب عجيب.. عجيب ..
ورفعت الأم رأسها عن التريكو وقالت :
— أريحينى وخبرينى..
وقالت الابنة وعيناها ساخطتان :
— تصورى أن مشيرة فسخت خطبتها لأن خاطبها عثمان رفض أن يوافق على خطبة أخته إلى أخيها ممدوح ..

وقالت الأم فى تعجب :
— وما دخل خطبة أخيها بخطبتها ..
وقالت الابنة فى حماس :
— لقد اعتبرتها مشيرة مسألة كرامة ..
وقالت الأم محتجة :
— مادخل الكرامة فى مثل هذا الموضوع .. ربما كانت أخت عثمان لا تريد الزواج من أخى مشيرة ..
وقالت الابنة بسرعة :
— لا .. انك لاتعرفين القصة .. لقد جاء عثمان وأخته إلى مصر لقضاء أجازة طويلة واتصلا بعائلة مشيرة لتوصيل رسالة من عمها الذى يعمل مدرسا فى السودان .. ورحبت العائلة بعثمان وأخته ترحيبا كبيرا حتى أصبحا فى خلال أيام وكأنهما من عائلة واحدة .. ومع الأيام جمع الحب بين مشيرة وعثمان .. واذيع خبر هذا الحب بين كل أفراد العائلة وبين صديقات مشيرة .. ولكن أحدا لم يعلم أن الحب ربط أيضا بين ممدوح وسعدية أخت عثمان .. ولم ينقض شهران حتى تقدم عثمان لخطبة مشيرة ووافقت العائلة وأعلنت الخطبة .. وتقررأن يسافر عثمان هو واخته إلى السودان لتعود العائلة لاتمام مراسم الزواج .. وقبل أن يسافر تقدم إليه ممدوح ليخطب أخته سعدية .. فإذا به يعتذر اعتذارا حاسما وكأنه يرفض .. بل إن مشيرة تقول انه غضب لمجرد أن ممدوح تقدم لخطبة أخته ..
وقالت الأم فى هدوء :
— ولماذا رفض خطبة أخته ؟ ..
وقالت الابنة ساخرة :
— قال : انها موعودة لابن عمها ..
وقالت الأم وكأنها تدافع عن عثمان :
— عذر مقبول ..

وصاحت الابنة :

— انه عذر كاذب .. وقد قالت سعدية لمشيرة انها ليست مخطوبة ولا موعودة .. وان كل ما هنالك ان أخاها لا يريد أن تتزوج أخته من رجل غريب.. غريب عن السودان.. ليس سودانيا.. وقد تأكدت مشيرة من ذلك بعد أن ناقشت خاطبها عثمان طويلا.. تأكدت أن الرجال فى السودان يمنحون أنفسهم حق الزواج من فتيات أى بلد.. مصرية.. أو لبنانية.. أو انجليزية.. ولكنهم يحرمون على بناتهم الزواج من أى بلد آخر غير السودان..

وقالت الأم فى دهشة :

— عجيبة .. انى أعرف أن كثيرا من المصريين الذين عاشوا فى السودان تزوجوا من السودانيات.. وسمعت أنهم كانوا فى الغالب يتزوجون من بنات قبيلة الدنكا.. ان بنات الدنكا أجمل بنات السودان..

وقالت الابنة ساخرة :

— كان هذا زمان .. عندما كان المجتمع المصرى يعيش فى المجتمع السودانى.. ولكن الآن انعزل المجتمع السودانى عن مصر.. كل المجتمعات المنعزلة تحرص على ألا تتزوج بناتها من مجتمعات غريبة.. فى الكويت.. والسعودية.. ودول الخليج.. حتى فى ليبيا.. لا يسمح بزواج البنات من غريب فى حين أن من حق الرجل أن يتزوج من أى بلد.. إن العزلة تولد التخلف والتخلف يعتبر الزواج مجرد متعة يحرم على الغريب أن يتمتع بها..

وقالت الأم المندهشة :

— ولكنى أعرف ان عثمان شاب متعلم تعليما عاليا..

وقالت الابنة ساخطة :

— انه متعلم ولكنه نشأ وعاش فى مجتمع منعزل.. لقد حكت لى مشيرة عن تصرفات عجيبة

تصورى انه حدث ذات ليلة ان كانت العائلة تقضى المساء فى البيت ومعهم عثمان وأخته سعدية.. لم يكن بينهم أحد غريب.. فقط الاخوة والاخوات والعم وأولاد العم..

وكانوا يتضاحكون ويستمعون إلى الموسيقى.. وقامت مشيرة ورقصت رقصة بلدى.. ورقصت ابنة عمها أيضا.. كل بنات العائلة رقصن.. ثم التففن كلهن حول سعدية وطلبن منها أن ترقص الرقصة السودانية.. رقصة الحمامة.. وقامت سعدية ورقصت.. هل تعلمين ماذا حدث؟ لقد عاد بها أخوها إلى الفندق ضربها علقة وحرمها من الخروج معه ثلاثة أيام إلى أن استطاعت مشيرة أن تخفف من غضبه عليها.. ممنوع على بنات السودان أن يرقصن أمام الغرباء.. حتى لو كانت رقصة الحمامة.. وهى رقصة مهذبة بطيئة..

وقالت الأم كأنها لا تستطيع أن تفهم :

— ولكن لماذا فسخت خطبتها إلى عثمان؟

وقالت الابنة فى حدة:

— لقد قالت له ان كلا منهما نشأ وعاش فى مجتمع يختلف عن الآخر.. وانه لهذا لا يمكن أن يستمر التفاهم بينهما.. وإذا لم يستمر التفاهم فلن يستمر الحب.. وإذا لم يستمر الحب فلن يستمر الزواج.. ولها حق..

وقالت الأم فى جزع :

— وهل اقتنع عثمان بهذا الكلام ؟

وقالت الابنة فى شماتة :

— لقد تحايل كثيرا على مشيرة ليتم زواجه بها .. ولكنه ظل مصرا على عدم زواج أخته بأخيها.. فأصرت مشيرة على فسخ الخطبة.. وسافر عثمان وأخته على غير عودة..

وقالت الأم وهى تبتسم كأنها تحاول أن تخفف من حدة ابنتها :

يهاجر من مجتمع إلى مجتمع .. وكان يجب على سهير أن تتحمل طبيعة المجتمع الأمريكى .. هل كانت سهير تعمل هناك أى عمل خارج البيت .. ان المجتمع الأمريكى يفرض على المرأة أن تعمل حتى لو كانت زوجة ..

وقالت الأم وكأنها مندهشة من سخط ابنتها :

— لا .. انها لم تكن تعمل .. كانت زوجة وأما متفرغة للبيت ..

صاحت الابنة كأنها تشتم سهير :

— لماذا لم تعمل رغم انها متعلمة وخريجة جامعة ..لو كانت تعمل لما أحست بالوحدة ولاقتنعت بأن تأخذ الدولارات اجرا لرعاية أبناء جارتها .

وقالت الأم وكأنها تتحدى ابنتها :

— لم تكن تستطيع أن تعمل .. كانت متفرغة لأولادها ..

وعادت الابنة تصيح كأنها تصيح فى وجه سهير :

— لماذا لم تضع الاولاد فى دار من دور الحضانة .. إن هناك دورا راقية .. وتقبل رعاية الأطفال وعمرهم سنة أو حتى ستة أشهر .. ومن الساعة السابعة صباحا حتى السابعة مساء .. وكل مشرفة من مشرفات دور الحضانة تشرف على ثمانية أطفال فقط لا أكثر حتى تستطيع أن تركز عليهم اهتمامها .

وصاحت الأم دفاعا عن ابنتها :

— انك انسانة بلا عاطفة .. ليست كل أم تستطيع أن تترك أولادها فى دور الحضانة .. ثم أن دور الحضانة فى أمريكا تربى الأطفال تربية عجيبة .. أنهم ينزعون منهم شخصيتهم الأصلية .. أى الشخصية المصرية .. والتقاليد والعادات المصرية .. واللغة التى يجب أن يحتفظوا بها .. لغتنا.. اللغة العربية .. وأكثر من ذلك .. انهم يتجاهلون الدين فيكبر الاولاد وهم ليسوا مسلمين ولا مسيحيين .. أغلبية دور الحضانة فى أمريكا أصبحت دورا ملحدة لا تعترف بأى دين ولا حتى بوجود الله ..

وقالت الابنة ساخرة :

— وهل يتكلم أولاد سهير بالعربى ؟

وقالت الأم وهى تتنهد فى حسرة :

— هذا ما تشكو منه سهير أيضا .. ان كل أبناء العرب فى أمريكا لا يتحدثون العربية إلا فى كلمات متقطعة كالخواجات .. وحتى أولادها وهم فى سن الطفولة أصبحت تغلب عليهم اللغة الانجليزية واللهجة الأمريكية .. وهناك ما هو أهم مما يشغل بال سهير .. عندما تكبر ابنتاها كيف يتزوجان .. أنها لا تريد لهما أن يتزوجا من شبان أمريكان .. ولا تريد لابنها أن يتزوج أمريكية .. لذلك يجب أن تعود وتقيم فى مصر حتى يتكلم أولادها بالعربى ويتزوجوا من مصر ومن دينهم ..

وقالت الابنة وهى تبصق كلماتها فى قرف :

— ان المصريين الذين يهاجرون لا يعلمون أنهم يبقون فى الهجرة محتفظين بشخصيتهم المصرية فى حين أن أولادهم يكتسبون شخصية أخرى .. شخصية المجتمع الذى ولدوا ونشأوا فيه .. لغة أخرى .. وعقلية أخرى .. وطباعا أخرى .. ان سهير ستبقى دائما مصرية تعيش فى أمريكا .. ولكن أولادها أمريكان .. لماذا يتكلمون العربية .. ولماذا لا يتزوجون أمريكان مثلهم ؟.

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى حيرة :

— هل تفكرين فى الهجرة ؟

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها كأنها تشفق عليها من جهلها :

— ان الذى يهاجر انما يسعى إلى هدف .. هدف فى النجاح وفى الغنى وفى حياة أفضل .. ويجب أن يتحمل متاعب الهجرة فى سبيل تحقيق هذا الهدف .. ويتحمل أن أولاده سينشأون غرباء عنه .. وعندما يتمكن منى الهدف فانتى أتمنى أن أهاجر..

وقالت الأم مذعورة كأن ابنتها قررت الهجرة:
— وهل يفكر صديقك عصام فى الهجرة هو أيضا؟.
وقالت الابنة وهى تجرى:
— لا تحدثينى عن عصام .. لا أريد أن أسمع سيرته.
وتركت أمها فى حيرة.

* * *

● قالت الأم فى غضب وهى تلوح بيديها كأنها تولول على فقيد عزيز:
— ألم تسمعى بما فعله جارنا عبدالسلام؟
وقالت الابنة فى جزع:
— ماذا فعل؟
صرخت الأم :
— تزوج ..
ورفعت الابنة حاجبيها دهشة ثم قالت وهى تخفى ابتسامتها :
— هذا من حقه..
وعادت الأم تصرخ :
— كيف يكون هذا من حقه .. هل تعرفين كم عمره .. انه فى الخامسة والسبعين.. وكلها يومين والله يرحمه..
وقالت الابنة وهى لاتزال محتفظة بابتسامتها :
— هل هو مريض ..
وقالت الأم وعيناها تنطقان بالغيظ:
— لا .. انه مثل الحصان..

وقالت الابنة فى بساطة كأن الموضوع ليس مهما:
— اذن من حقه أن يتزوج..
وقالت الأم كأنها تبصق كلماتها :
— كيف يتزوج ولم يمض على وفاة زوجته وأم أولاده عام واحد.. بعد أن عاشت فى خدمته أكثر من أربعين عاما.. لقد كانت ست الزوجات.. كانت ملاكا

لقد كانت تساوى رقبته. ولكن هكذا الرجال.. لا وفاء.. ولا خجل .. المهم أن يجد الرجل امرأة.. أى امرأة..
وقالت الابنة فى هدوء:
— ياماما ان الرجل الذى عاش عمره بين زوجته وأولاده، لا يستطيع أن يجد نفسه فجأة وهو يعيش فى البيت وحده.. وقد تزوج أولاد عبدالسلام الثلاثة وتزوجت ابنتاه ثم ماتت زوجته.. ووجد نفسه فى وحدة.. ليست معه كلمة تؤنسه.. ولا شريك يعينه على استكمال الحياة.. وكان عليه أن يهرب من هذه الوحدة.. أن يحمى نفسه من الوحدة.. وعبدالسلام رجل عاقل ونبيه لأنه تزوج..
وقالت الأم محتدة :
— لماذا لا يدعو إحدى بنتيه لتعيش معه هى وزوجها وأولادها.. أو يدعو أحد أولاده ليعيش معه هو وعائلته.. ان الشقة التى يعيش فيها أوسع وأرقى من كل الشقق التى يعيش فيها أولاده وبنتاه.. ولن يرفض أحدهم أن ينتقل ليعيش معه.. أو لماذا لا يؤجر شقته مفروشة وينتقل هو ليعيش مع أحد أبنائه.. ويستفيد من قيمة الايجار وفى الوقت نفسه يصون ويحترم ذكرى زوجته رحمها الله..
وقالت الابنة فى زهق من عقلية أمها:
— يا أمى ان الرجل الذى عاش معتمدا على نفسه، مستقلا ببيته لا يستطيع أن يعيش عالة على أحد حتى لو كان ابنه أو ابنته.. وهناك دائما شخص ثالث يعتبر غريبا عن هذا الرجل.. وهو زوج الابنة أو زوجة الابن.. فكيف يفرض نفسه على غريب .. ويعيش .. ومن الأفضل له ان يظل محتفظا باستقلاله حتى لو تزوج وهو فى الخامسة والسبعين من عمره.. ان شارلى شابلن تزوج وهو فى السبعين.. وأم جاكلين كينيدى تزوجت رجلا فى الستين من عمره وهى فى الخامسة والخمسين كم عمر هذه التى تزوجها الأستاذ عبدالسلام ؟.

وقالت الأم ساخرة :

إنها تقول إنها فى الخمسين رغم ان كل النـاس يقولـون انها تعدت الستين.. وقد توفى زوجها منذ خمسة أعوام ولها بنت وولد تزوجا..

وقالت الأم فى قرف:

— لا أدرى مـاذا يفعـل رجل فى الخامســة والسبعين بــامـرأة فى الستين.. مـاذا يريـد منها.. مـاذا يمكن أن يجمع بينهما وقـد شاخـا وأصابهما العجز عن أى شىء..

وقالت الابنة ساخرة:

— تقصـدين العجز الجنسى.. يـا أمى ان كل عمـر لـه مطالبـه.. ومطـالـب العجـوز تختلف عن مطـالب الشباب أو الرجل الأصغر.. وقطعا أن عبدالسـلام لم يتزوج لتحقيق شهوة المتعة ولا هى تزوجته لهذه المتعة.. وقطعا لم يتـزوجا على أمل إنجاب أولاد.. تزوجـا ليؤنس كل منهما الآخـر.. ليغطى كل منهما وحـدة الآخر.. الكلمـة الحلـوة.. والابتسامة الحلوة.. واللمسة الحلوة.. وتبادل خدمات الحياة.. تزوجا حتى لا يضطـر كل منهما أن يبحث عن بيت من البيـوت التى تـؤوى العواجيـز والتى انتشرت أخيرا. ويعيش فى انتظار الموت وكأنـه يعيش فى ملجأ يتامى.. يتامى المجتمع الإنسانى .

وصرخت الأم :

— انك تتفلسفين وتنسين أن عبـدالسلام بهذا الـزواج يعتدى على حقوق أولاده .

وقالت الابنة فى قرف :

تقصدين حقوق الوراثة .

وقاطعتها الأم صارخة :

— طبعا حقوق الوراثـة.. إنه إذا مات فستصبح الشقة التى يسكنها من حـق زوجته.. وسيكون من حقهـا واحـد على ثمانية من الأمـلاك.. ومن يـدرى ربما أقنعته بأن يبيع أملاكـه قبل أن يموت لتستولى على ثمنها كله.. ويخرج أبناؤه بلا مليم واحد .

وقالت الابنة كأنها تفكر فى حل :

— ماذا فعل أولاده بعد أن تزوج .

وقالت الأم وكأنها شامتة فى عبدالسلام :

— لقد قـاطعوه ورفضـوا الموافقة على هـذا الزواج، وزوج ابنتـه الكبرى يفكر فى رفع قضية لوضعه تحت الوصـاية باعتبار أنه وصل إلى سن التخريف .

وصاحت الابنة فى غضب :

— انهم مجرمون. الأولاد الـذين يفكرون فى إرث أبيهم وهـو حى هم مجرمـــون سفلـة.. لا يستطيعـون الاعتماد على أنفسهـم فى بنـاء مستقبلهم.. أن كل ما يملكه الأب من حقه وحده مادام حيا.. ومن حقه أن يترك لأولاده كل شىء ومن حقـه ألا يترك لهم شيئا مادام قـد أنفق عليهم إلى أن وصل بهم إلى الحياة المستقلة .

وقالت الأم ساخطة :

— ماذا كنت تريدين منهم أن يفعلوا .

وقالت الابنة وكلماتها تجرى فى حدة :

— أن يتركوا أباهم حرا.. وينتظـروا.. فإذا كان سعيدا بهذا الزواج فرحوا. وإذا كان تعيسا واستغاث بهم تـدخلوا لانقاذه.. وهو نفس ما حدث عندما تزوج ابن عبدالسلام الأصغر.. لقد عارض عبدالسلام فى هذا الـزواج لأن الزوجة كانت ممثلـة سينما. وقاطع ابنه ولكنه تـركه حرا.. وبعـد بضعة أشهـر وجد ابنه سعيـدا وبيته محترمـا فصالحه وبارك هذا الزواج وأصبحت أسعـد أوقاته هى التى يقضيها فى بيت ابنه الأصغر وزوجته وأولاده .

ونظـرت الأم إلى ابنتها طـويـلا وقـالت وعيناهـا ضائعتان فى حيرة :

— اسمعى يـــا ابنتى.. افــرضى أنــى مت هل تتركين أباك يتزوج بعدى .

وقالت الابنة فى جزع :

— بعيد الشر عنك يا ماما.. لا تقولى هذا الكلام .

وعادت الأم تقول فى إصرار :

— افرضى .. مجرد فرض .

وسكتت الابنة برهة ثم قالت :

— سأتركه حرا.. يفعل ما يريد .

وضاقت الأم كأنها تلقت صدمة ثم قالت وهى تضغط على أعصابها :

— وافرضى العكس.. أى أن أباك توفاه الله.. هل أتزوج أنا من غيره .

ونظرت إليها الابنة كأنها تلومها ثم انحدفت على صدرها تقبلها قائلة :

— لا تقولى هذا الكلام يا ماما.. أنت وبابا لكما عمرى .

وابتسمت الأم..

ان ابنتها لم ترد على سؤالها..

انها لا تحتمل أن تكون أمها لرجل آخر حتى لو مات أبوها.. انها أنانية الأبناء..

* * *

كانت الابنة تجلس ساهمة وقالت الأم وهى تبتسم لها ابتسامة حلوة.

— ماذا بك.. منذ يومين وأنت ساهمة.. تائهة.. ملخبطة..

وسكتت الابنة برهة ثم قالت وهى تتنهد

— هل تذكرين .. لقد كنا منذ أيام نتحدث عن جارنا عبدالسلام الذى تزوج بعد أن تجاوز السبعين من عمره.

وقالت الأم من خلال ابتسامتها:

— أذكر .. وقد كنت تؤيدين حقه فى الزواج..

وقالت الابنة وعيناها تائهتان فى حيرتها:

— لقد تمكنت الفكرة من خيالى واقتنعت بأن أتزوج أنا أيضا بمن تعدى السبعين..

وصاحت الأم فى دهشة:

— لماذا .. ماذا جرى لك حتى تفكرى فى الزواج ممن تعدى السبعين..

وقالت الابنة وهى ساهمة:

— لأنه فى حاجة إلى الزواج..

وعادت الأم تصيح من خلال دهشتها؛

— من هو؟

وقالت الابنة فى صوت حالم:

— توفيق الحكيم..

وصرخت الأم وهى تضرب على صدرها بكفها:

— يا نهارك أبيض .. توفيق الحكيم الكاتب.. ماذا أوصلك اليه..

وقالت الابنة الحالمة:

— لقد عشت معه فى كل قصصه التى كتبها.. منذ بدأت أقرأ وأنا أعيش معه.. وقد سمعت أخيرا أنه يعانى الوحدة.. وأخاف أن تحرمنى وحدته من أن يكتب مزيدا من القصص.

وقالت الأم بسرعة

ان الكاتب الفنان يعيش وحدته حتى وهو بين الناس.. انه فى حاجة الى الوحدة ليتفرغ لأفكاره ولخياله حتى يرسم القصص التى يكتبها.. وتوفيق الحكيم كاتب وفنان..

وقالت الابنة وهى تتنهد فى أسى:

— ان الكاتب والفنان وهو أولا بنى آدم كبقية البنى آدميين.. وأنت لا تعرفين كيف كان يعيش توفيق الحكيم.. لقد تزوج وعاش مع زوجته أكثر من ثلاثين عاما.. وأنجب بنتا وولدا.. ثم توفيت زوجته إلى رحمة الله منذ عامين.. وابنته كانت تزوجت وأقامت فى الاسكندرية.. فعاش مع ابنه وزوجته.. لكن القدر اختطف ابنه.. كأنه يقتطع

قطعة من قلبه.. وتحمل صـابرا.. وعاش مع زوجة ابنـه.. عاش معها كـابنته.. وكـانت تحبه وتعطيـه من حنـانها وتشده فى رفق إلى عـالم النسيـان حتى يستطيـع أن يعيش أفكـاره وخـواطـره ويكتب ولكن تـوفيق الحكيـم لا يستطيع أن يتحمل حـرمـان ابنتـه من استكمال شخصيتها فشجعها على الزواج.. وتزوجت فى لندن.. وأصبح وحيدا.. كله وحـدة.. والبيت صامـت.. كل قطعة فيه تبكـى الذكريـات.. كيف أترك توفيق الحكيم هكذا وأطلب منه أن يكتب لى لأقرأ له.

وقالت الأم والأسى يقطر على وجهها.

— ان توفيق الحكيم كتب أعظم قصصه وأقـام مجده وهو وحيد.. قبل أن يتزوج..

وقالت الابنة وهى تكاد تبكى:

— كان شبابه يؤنسه فى وحدته..

وقالت الأم وهى تربت على كتف ابنتها وتهدئها :

— يـا ابنتى أنت تعـرفين أنى أهـوى قراءة القصص وقـد قـرأت توفيق الحكيم قبل أن تقرئيه.. وأعـرف من بين ما قرأته أن الآلام تلهم الفنان .. أن قلم الفنان ينزف أحيانا كـالدموع.. فلا تخافى على توفيق الحكيم.. سيكتب لك وتقرئين له.. ربما كتب أعظم مما كتب حتى الآن.

وقالت الابنة فى عصبية :

— لا يا ماما أنت لا تقدرين ماذا فقـد توفيق الحكيم؟. لقد فقد صوت الحيـاة فى بيته.. فقـد الجمال الذى يمـلأ عينيه.. فقـد الكلمة الحلوة التى تعزف فى أذنيه.. فقد اللقمة الشهية التى يقدمها الحب إلى فمه.. وسأعوضه عن كل ذلك .

وقالت الأم وقد بدأت تقلب شفتيها فى غيظ ورفض:

— كيف.. هل تذهبين إليه وتطلبينه للزواج..

وقالت الابنة وكأنها ترسم خطة :

— لا.. سأذهب إليه كقارئة معجبة.. ثم اكتشف ما يحتاج اليه وما استطيع أن أقدمه اليه..

وقالت الأم كأنها انبهرت بفكرة:

— انه لو أحس بك فان احساسه سيكون كأنك ابنته وتعوضينه عن ابنته التى تقيم بعيدا عنه..

وقالت الابنة وكأنها ترفض فكرة أمها :

— انه لن يحس بى كابنته.. بـالعكس أنا التى سأحس به كأم.. ان الرجال بعـد سن معينة ينقلبون إلى أطفال.. وأعتقـد أن توفيق الحكيم اصبح طفلا عجوزا ..

وقالت الأم وهى حائرة مع ابنتها :

— قد يقبلك كصديقة ..

وقالت الابنة فى اصرار :

— ان الصداقة لن تكفى حاجته ولن تعيد اليه حرارة فنه..

وصرخت الأم :

— ماذا تتصورين أن يطلب منك توفيق الحكيم ؟.

وقالت الابنة وعيناها تبرقان بالأمل :

— الزواج.. انه فى حاجة إلى زوجة .

وعادت الأم تصرخ :

— كيف تتـزوجان وهـو فى الثمانين وأنت فى العشرين.. ان جارنـا عبدالسلام وهو فى السبعين تزوج من امرأة فى الخمسين..

وقالت الابنة فى هدوء :

— ان عبـدالسـلام ليس فنـانـا.. ولكن شـارلى شابلن كـان قد تعدى السبعين عندمـا تزوج فتاة فى الثالثة والعشرين.. وبيكاسـو كان قد تعدى الثمانين عندما تزوج فتاة فى الثالثة والعشرين.

وقالت الأم فى جزع :

ماذا تأخذين من هذا الزواج ؟

وقالت الابنة وهى ترفع رأسها فى تفاخر :

— يكفى أن أكون زوجة توفيق الحكيم ..

وقالت الأم فى قرف :

— انك تطمعين فى الشهرة وتوفيق الحكيم لن يستسلم لأطماعك.. انه عاقل حريص على مكانته الفنية.. هذا ما أعرفه عنه ..

وقالت الابنة وكأنها تتحدى القدر :

— دعينى أجرب.. ودعى توفيق الحكيم يقرر..

وقالت الأم فى حدة :

— وماذا تفعلين مع صديقك عصام؟

وقالت الأبنة فى حدة :

قلت لك لا تذكرينى به.. أريد أن أنسى اليوم الذى عرفته فيه..

وقالت الأم وحيرتها تشتد بها :

— لماذا.. انك لم تقولى لى عما حدث بينكما ؟.

وجرت الابنة خارج الغرفة قائلة كأنها تهرب من دموعها :

— ليس هذا وقته .

ورفعت الأم رأسها إلى الله وقالت كأنها تخاطبه :

—يارب.. هل رزقتنى بابنة مجنونة .

قالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى حيرة

— يا ابنتى اننى كلما سألتك عن عصام غضبت وهربت من الكلام ماذا حدث بينكما؟

وقالت الابنة وهى تدير عينيها بعيدا كأنها لا تريد مواجهة أمها :

— يا ماما.. أرجوك.. دعينا من الكلام عن عصام.

وقالت الأم كأنها تشفق على ابنتها:

— ان عصام صديقك وقد اعترفت لى بأنك تحبينه.. ومن حقى أن أعرف مصير حبك وأن أطمئن.

وقالت الابنة وهى تهم بالابتعاد:

هذا موضوع خاص بى .

ورفعت الأم صوتها وقالت فى حدة .

— اجلسى وتكلمى.. ان كل ما هو خاص بك يعتبر خاصا بى.. تكلمى .

وتنهدت الابنة كأنها تهم بالبكاء :

— ماذا تريديننى أن أقول ؟

وقالت الأم فى لهفة :

— قولى كل شىء.. احكى الحكاية بكل تفاصيلها..

وقالت الابنة وهى تبتسم فى مرارة:

— انها حكاية قديمة.. حكاية بدأت منذ بدأت الحكايات بين البنات والأولاد .

وقالت الأم وهى أشد لهفة :

— اية حكاية ؟. تكلمى بصراحة..

وقالت الابنة فى غيظ :

— لقد عرفت انه على علاقة بفتاة أخرى.. امرأة..

وقالت الأم فى دهشة :

كيف عرفت ؟

قالت الابنة وكأنها تبصق كلماتها فى قرف :

— سمعت زملاءه فى الكلية يتحدثون عن امرأة اسمها زبيدة وان عصام على علاقة بها.. ورأوه معها.

وقالت الأم من خلال دهشتها:

—هل تأكدت من هذا الكلام..

وقالت الابنة وكأنها لم تسمع سؤال أمها:

— لقد كانوا يقولون عنها إنها أكبر منه ولكنها جميلة وبلوند.. شعرها أصفر.

وعادت الأم تقول من خلال لهفتها :

— انى أسألك هل تأكدت من هذا الكلام.. ربما كانوا يكذبون ويدعون عليه أو يرددو.. اشاعات كاذبة .

وقالت الابنة كأنها تستعيد ذكرياتها :

—لقد سألت عصام .

وقالت الأم فى فرحة كأن المشكلة قد حلت :

— ماذا قال لك.. هل كذب ما يقال ؟
وقالت الابنة فى مرارة :
— لا.. لقد اعترف بأنه يعرف زبيدة فعلا.. ولكنه لا يحبها.. ولا يربط نفسه بها.. ولا يراها إلا فى فترات متباعدة كل شهر.. وأحيانا كل شهرين .
وقالت الأم فى حيرة :
ولماذا يعرفها.. هل هى قريبته أو صديقة العائلة ؟
وقالت الابنة ساخرة :
— لا.. انه يعرفها لأنها تعطيه ما لا أعطيه أنا له وما لا يطلبه منى..
وقالت الأم كأنها تصرخ :
— ماذا تعطيه ؟
وقالت الابنة وهى تنظر إلى امها كأنها تتهمها بالجهل :
— تعطيه جسدها طبعا.. وهدأت الأم وقالت بعد برهة وهى تبتسم كأنها تخفف عن ابنتها :
— ليس فى هذا أمر غريب.. هذه طبيعة كل الرجال لا يحاسب عن علاقاته إلا بعد الزواج.. أما قبل الزواج فهو حر.
وصرخت الابنة صرخة عالية :
— هذا كلام فاض .. كلام الجوارى .. كلام زمان .. الرجل ليس له حق على نفسه أكثر من حق المرأة على نفسها..
وقالت الأم وهى تحاول أن تكون هادئة لتسكت من صراخ ابنتها :

— يا ابنتى ان طبيعة الرجل تختلف عن طبيعة المرأة .. وهو لايستطيع أن يكبت طبيعته .. وهو لايمارس هذه الطبيعة معك منتظرا يوم الزواج لأنه يحبك ويحترمك ويصون عرضك .. ولكنه يبحث عن أخرى لا يحبها ولا يحترمها ولا يصونها .. إلى

أن يجمعكما الزواج ويصبح وليس فى دنياه الا أنت ..
وعادت الابنة تصرخ صرخات أعلى :
— يا أمى لا تجننينى بهذا الكلام .. ان طبيعة الرجل لا تختلف عن طبيعة المرأة .. وكل منهما يستطيع الانتظار ويستطيع كبت طبيعته إلى أن يلتقى بالنصف الآخر الذى سيهبه نفسه العمر كله . انظرى إلى ابن عمى سمير .. ان أول امرأة لمسها فى حياته كانت زوجته .. رغم أنه تزوج فى الخامسة والعشرين من عمره .. ذلك لأنه شاب نظيف مؤمن بالمبادىء والأخلاق ولا يمكن أن يمارس طبيعته فى الحرام .. لا يمكن أن ينزل بنفسه إلى مستوى العلاقات القذرة.. ماذا كنت تفعلين لو كنت عرفت أن بابا يمارس طبيعته مع نساء رخيصات قبل أن يتزوجك ؟!..
وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى اشفاق :
— أنا لم أحاول أبدا أن أعرف .. ولو عرفت لما همنى فى شىء مما كان يفعله أبوك قبل الزواج .. انى أؤمن بالمثل الذى يقول أن الرجل يتمنى أن يكون أول رجل فى حياة المرأة . وأن المرأة تتمنى أن تكون آخر امرأة فى حياة الرجل .. وقد كان أبوك أول رجل فى حياتى، وأنا واثقة انى آخر امرأة فى حياته ..
وضحكت الابنة ساخرة وقالت :
— انك تذكريننى بما يقوله بعض بنات هذه الأيام .. إنهن يقلن .. لا تعطى نفسك للرجل الذى تريدين أن تصلى معه إلى الزواج ، أما الرجل الذى لا تريدين أن تتزوجيه فهو مباح .. أى أن الرجل لا يتزوج الفتاة التى سبق أن استسلمت له قبل الزواج ، ولكنه قد يتزوج الفتاة حتى لو كانت قد استسلمت لغيره .. فكما أن عصام أعطى نفسه لامرأة أخرى إلى أن يتزوجنى .. فمن حقى أن أعطى نفسى أنا الأخرى لرجل آخر إلى أن أتزوجه .. ان الرجال مغفلون ..

وصاحت الأم :

— اخرسى قطع لسانك .. هذا كلام متحلات ..

وقالت الابنة وهى تكاد تبكى :

— ان عصام هو الذى دفعنى إلى هذا الكلام :

وقالت الأم فى رجاء :

— يا ابنتى .. كونى مثلى .. واحتملى عصام ..

وقالت الابنة من خلال دموعها :

— يا ماما انى أعيش أيامى لا أيامك .. ولا أستطيع أن أحتمل ما احتملته.

* * *

قالت الابنة فى ابتسامة مرحة :

— ما رأيك يا ماما .. تعالى نحتفل بليلة رأس السنة ..

وضحكت الأم قائلة :

— يا ابنتى أنت تعلمين انى لم أتعود الاحتفال بأية ليال .. فلماذا احتفل بليلة رأس السنة ..

وقالت الابنة المرحة :

— ان العالم كله يحتفل بها ..

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها بلا مبالاة :

— العالم الاجنبى هو الذى يحتفل بهذه الليلة .. ليس عالمنا ..

وقالت الابنة فى اصرار :

— انه احتفال بتاريخ بداية العام الجديد .. ونحن نعيش هذا التاريخ .. ان التاريخ الذى نعيشه فعلا هو التاريخ الميلادى .. هو التاريخ الرسمى للدولة .. ، وهو التاريخ الذى تقوم عليه كل معاملاتنا .. فلماذا لا نحتفل به ؟

وقالت الأم وكأنها تستغفر الله :

— ان التاريخ الذى يعبر عنا ويرتبط بشخصيتنا هو التاريخ الهجرى ..

وقالت الابنة ساخرة :

— ابدا .. حتى عيد ميلادك تحددينه بالتاريخ الميلادى .. ٢٥ أكتوبر .. ما هو عيد ميلادك بالتاريخ الهجرى .. لا أنا أعرف ولا أنت تعرفين .. اننا نولد ونعيش إلى أن نموت بالتاريخ الميلادى ..

وقالت الأم فى قرف :

— هذه ليست غلطتنا ولكنها غلطة الحكومة التى فرض عليها التاريخ الميلادى منذ أيام الاحتلال الاجنبى ، وظلت مستسلمة لهذا التاريخ بعد أن انتهى الاحتلال وإلى اليوم .. انهم فى السعودية يعيشون التاريخ الهجرى .

وقالت الابنة فى لهجتها الساخرة :

— انهم هناك يعيشون التاريخ الهجرى ولكنهم يتعاملون بالتاريخ الميلادى .. وكل الدول الاسلامية الأخرى تعيش وتتعامل بالتاريخ الميلادى ولا تحس بالتاريخ الهجرى إلا فى مناسبة شهر رمضان وأيام الحج والأعياد ..

وقالت الأم فى عصبية :

— يا ابنتى أنت مسلمة.. والتاريخ الذى تعيشينه هو تاريخ الاسلام .. التاريخ الهجرى ..

وصرخت الابنة :

— اذن لماذا لا نحتفل بليلة رأس السنة الهجرية كما يحتفل العالم بليلة رأس السنة الميلادية .. احتفال شعبى .. مرح .. صاخب .. لماذا لا تجمعنا المناسبة فى حفلات ساهرة ونلبس أزياء العيد .. والموسيقى تعزف لنا .. ونضحك .. ونرقص.. لماذا نقضى ليلة رأس السنة الهجرية فى وجوم رسمى .. ونستمع إلى القرآن الكريم كأننا فى مأتم .. ثم ننتظر عشرة أيام حتى يحل يوم عاشوراء ونأكل طبق العاشوراء.. ان كل مظاهر أعيادنا قائمة على الأكل وعلى ملء بطوننا .. العيد الصغير نأكل الكعك .. والعيد الكبير نأكل الخروف ..

وعيد المولد النبوى نأكل الحلوى .. وعيد رأس السنة الهجرية نأكل المهلبية والملوخية .. طبق أبيض وطبق أخضر .. كل أعيادنا هى احتفالات نقدمها لبطوننا .. وقد مرت فترة كان الاحتفال بالمولد النبوى هو احتفال شعبى مرح ضاحك .. كانت الفرق التمثيلية والسيرك والمطربون والمطربات والحواة يتجمعون فى ساحة المولد ويعيش الناس معهم فى ليلة تريح النفس، ولكنهم منذ سنوات الغوا هذه الاحتفالات واقتصر يوم مولد النبى على بيع السمسمية والحمصية وعرائس المولد .. أريد أن نعيش أعيادنا .. أن نفرح بها .. حتى لا نعيش أعياد الأجانب ..

وقالت الأم فى هدوء دون أن تتأثر بصراخ ابنتها :

— هناك فارق ..

وصرخت الابنة :

— فارق فى ماذا ؟

وقالت الأم مبتسمة :

— فارق بين الاحتفال برأس السنة الهجرية ورأس السنة الميلادية ..

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها متهكمة :

— ما هو الفارق يا ست العارفين ..

وقالت الأم بهدوئها :

— ان رأس السنة الهجرية هى مناسبة دينية ويجب أن يكون الاحتفال بها دينيا .. أما رأس السنة الميلادية فهى مناسبة حسابية قائمة على انتهاء العام من الناحية التاريخية والناس أحرار فى الاحتفال بهذه المناسبة .. ان احتفال رأس السنة الهجرية يوازى الاحتفال بالكريسماس أو عيد الميلاد عند الأجانب .. وهم يحتفلون بالكريسماس احتفالا دينيا ويقضون الليل فى الكنائس يرتلون الصلوات .

وقالت الابنة فى تحد :

— انهم بعد أن يخرجوا من الكنيسة ينطلقون إلى المرح ..

وقالت الأم فى استسلام :

— من حقك أيضا أن تمرحى..

وقالت الابنة فى اصرار :

— سأمرح وأسهر فى ليلة رأس السنة..

وقالت الأم ساخرة :

— وترقصين ؟

وقالت الابنة فى غيظ :

— الرقص ليس عيبا .. لقد أصبح معترفا به رسميا..

وقالت الأم وهى لا تزال ساخرة :

— بلدى أم أفرنجى ؟

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— كله رقص .

وقالت الأم وقد بدأت تبدو جادة:

— ان التقاليد تقضى فى ليلة رأس السنة أن يتبادل الناس القبلات عندما تدق الساعة الثانية عشرة. فمن سيقبلك وتقبلينه ساعتها ؟

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى عتاب :

— لم يخطر على بالى من أقبله أو من يقبلنى.. انها دائما قبلة بريئة.. واستطيع أن أهرب من أى قبلة .

وقالت الأم وهى تبتسم فى مرارة :

— ان كثيرا من قصص المآسى تبدأ بقبلة السنة الجديدة.. هكذا سمعت.. وعلى كل حال ممنوع .

وقالت الابنة فى عصبية :

— ما هو الممنوع ؟

وقالت الأم فى حسم :

— ممنوع أن تسهرى خارج البيت فى ليلة رأس السنة.. العائلة كلها ستبقى فى البيت.. والبنت التى

تسهر وحدها خارج البيت الى ما بعد الساعة التاسعة مساء سواء فى ليلة رأس السنة أو فى أى ليلة تعتبر بنتا ضائعة.. سائبة .. منحلة .

وقالت الابنة وهى تجرى من أمام أمها :

— آه لو تعلمين ما يمكن أن يحدث قبل الساعة التاسعة .

● قالت الأم وهى تعتدل فى جلستها كأنها تهم أن تحكى حكاية طويلة :

— هل سمعت أخبار صديقتنا عدلية ؟

وقالت الابنة بلا اهتمام :

— خير ..

وقالت الأم من خلال ابتسامة رثاء :

— انها مصممة على أن تسافر مع زوجها .

وقالت الأم وهى تمط شفتيها :

— انه هو نفسه لا يريدها أن تسافر معه.. يريدها أن تبقى فى مصر .. مع طفليهما.

وقالت الابنة ساخرة :

— وما حجته للهرب من زوجته ؟ !

وقالت الأم فى حدة :

— انه لا يهرب منها.. ولكنه يقول أن الأفضل للأولاد أن يبقوا فى مصر.. ليس فى صالحهم أن يأخذهم معه ولا يطمئن إلى تركهم مع أمه أو مع أمها.. ثم انه يسافر فى بعثة لمدة ثلاث سنوات. ومرتب البعثة لا يكفى لتعيش العائلة كلها معه ..

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها الساخرة :

— ماذا تقول هى ؟

وقالت الأم وهى تتنهد كأنها تزفر اشفاقها:

— تقول انها ستدخل ولديها مدارس إنجليزية.. والمدارس الانجليزية توجد فى كل مكان من العالم كما توجد فى مصر.. فلا خوف عليهما من أن

تصحبهما معها.. ثم أن ابن خالتها يقيم ويعمل فى لندن وهو مستعد أن يحول مبلغا بالاسترلينى ليساعدهما سنوات البعثة .

وقالت الابنة فى فتور :

— لماذا لم يقتنع زوجها بهذا الكلام ؟

وقالت الأم فى حماس كأنها معجبة بالزوج :

— انه يرفض أن يعتمد على ابن خالة زوجته.. ويرفض أن يمرمط اولاده بين المدارس هنا وهناك.. وهو يقول انه يضحى براحته وعواطفه عندما يسافر وحده بعيدا عن زوجته وأولاده. ولكن ما يخفف عنه أنه سيراهم فى الاجازات .

وقالت الابنة فى زهق :

— لكن لماذا تصر عدلية على السفر مع زوجها .

وقالت الأم فى قرف :

— لأنها تغار عليه.. يخيل إليها انه سيقضى هناك كل ليلة فى أحضان امرأة.. ومن يدرى.. قد تلطشه واحدة منهن وتتزوجه.. ويعود من البعثة ومعه الدكتوراة وزوجة ثانية وربما ابن أو ابنة .

وقالت الابنة وعيناها تتسعان كأنها ترى معركة :

— لها حق .

وقالت الأم ساخطة :

— ليس لها حق.. انها مجنونة.. ان زوجها معروف بأخلاقه السامية وحرصه على بيته وأولاده. ولا يمكن أن يترك نفسه لأى امرأة.

وقالت الابنة فى تحد :

— مهما كانت اخلاقه.. فهذه هى طبيعة الرجل.. ان طبيعته تدفعه إلى البحث عن الجنس الآخر.. لا يستطيع أبدا أن يكتفى بنفسه.. وقد سمعت فى الجامعة قصة غريبة عن رجال كوريا الذين يعملون فى السعودية.. قصة تجعلنى أقشعر من صنف الرجال..

وقالت الأم فى لهفة :

— ما هى القصة.. ماذا سمعت؟ وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— ان فى السعودية الآن آلافا من الخبراء والعمال الكوريين يقومون بالعمل فى المشروعات .. وهم هناك منظمون جدا .. كأنهم فرق عسكرية .. ورغم ذلك لم يستطع الرجال التغلب على طبيعتهم .. فبدأوا يترددون على البيوت ويطرقون الأبواب فإذا فتحت لهم امرأة طلبوا كوبا من الماء .. وتدخل المرأة لتعود لهم بكوب الماء فيدخل الرجل وراءها ويعتدى عليها .. وقد تعددت هذه الحوادث حتى أصدر وزير الداخلية السعودى بيانا نشر فى الصحف ووزع على جميع البيوت والمكاتب يأمر بعدم فتح الباب لأى كورى أو تقديم أى شفطة ماء لأى واحد منهم ..

وقالت الأم فى ذهول :

— وماذا فعلت الحكومة الكورية .. هل سحبت عمالها من السعودية ؟

وقالت الابنة من خلال قرفها :

— لا .. لقد خضعت للواقع .. واقع الرجل .. وأرسلت إلى السعودية مجموعة من النساء الكوريات ليعشن هناك ويشبعن طبيعة الرجل الكورى .

وقالت الأم معترضة :

— لا يمكن أن تسمح الحكومة السعودية بدخول هذا النوع من النساء ..

وقالت الابنة ساخرة :

— ربما دخلن باسم انهن زوجات أو عاملات ..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى تحد :

— على كل حال .. ان زوج عدلية ليس من كوريا.. انه من مصر .. والمصريون نوع آخر الرجال.. انهم أسياد من الرجال ..

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها كأنها تستهين بعقليتها :

— يا أمى هذه طبيعة الرجل منذ وجد الرجل .. ومنذ العصور القديمة كانت القبائل أو الدول ترسل فرقا من النساء وراء الجيوش المحاربة حتى يجد الرجل المحارب المرأة التى تشبع طبيعته ..

وقالت الأم وهى تكاد تبصق كلماتها :

— انكن جيل مادى .. يغلب عليه الاحساس بالجنس ويقيم كل حساباته ومنطقه على أساس جنسى .. هناك الحب والاخلاق .. والنظافة .. كل ذلك ممكن أن يتغلب على طبيعة الرجل وطبيعة المرأة .. وطبعا إذا تزوجت أنت واضطر زوجك للسفر فستكونين أنت أيضا كعدلية .. لن تسمحى له بالسفر وحده..

وقالت الابنة ضاحكة وهى تجرى من أمام أمها :

— لا .. لن أكون مثلها .. لأنى سأسافر قبله لاحصل على الدكتوراة قبله .. وأتركه هو يقرر أن يصحبنى أو يتركنى أسافر وحدى ..

* * *

● قالت الابنة وهى تبتسم لأمها فى دلال :

— مضت أيام طويلة دون أن تسألينى عن أخبار صديقى « عصام »

وقالت الأم بلا اكتراث :

— هذا موضوع خاص بك ولا أريد أن أتدخل فيه ..

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها :

— ألا تريدين أن تطمئنى على حياة ابنتك الخاصة ..

وقالت الأم وهى تبادل الابنة الابتسام :

— ان ما يطمئننى هو ثقتى فيك ..

وقالت الابنة فى رجاء :

— قد أحب أن أسمع رأيك فيما يحدث بينى وبين « عصام » ؟
وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى حنان :
— اننى أفضل ان تعتمدى على رأيك .. فـانى إذا قلت لك رأيى فقد تخالفينه فأغضب منك .. وقد يكون رأيى خاطئا فتحملينني مسئولية مصيبتك .. وقد يكون رأيا صحيحا فيصبح الفضل لى لا لك .. ويصبح كل مستقبلك مع « عصام » فى يدى .. أنا التى ترفض أو تقبل.. الطريق الصحيح أن تعتمدى على نفسك وعلى رأيك وعلى تصرفاتك .. أن تعتزى بشخصيتك وتحملى مسئولية نفسك ..
وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها كأنها غاضبة :
— ولكنى أحس أحيانا بحاجتى للحديث عن حكايتى مع «عصام»..
وقالت الأم ساخرة :
— انها عقدت كل مشاكلها ..
وقالت الابنة فى دهشة :
— كيف ؟!
وقالت الأم كأنها تكشف سرا :
— ان عقلية الأم غير عقلية الزوجة.. مهما كان الرباط بينهما.. ولذلك لايمكن أن تحل الأم محل ابنتها المتزوجة فى فكرها وإحساسها.. وانظرى ماذا حدث لفتحية ابنة جارتنا.. لقد تزوجت أول مرة.. وكانت هى التى اختارت هذا الزوج.. ثم بعد ذلك بدأت تستعين بأمها فى حل مشاكلها والأم تتدخل.. وكانت النتيجة أن كره الزوج الأم إلى حد أن طلق ابنتها.. وتزوجت «فتحية» مرة ثانية وكانت الأم هى التى اختارت الزوج لابنتها هذه المرة.. وعاشت كأن هذا الزوج قد تزوج الأم وابنتها.. والنتيجة تتكرر.. لقد سمعت أن «فتحية» على وشك الطلاق من الزوج الثانى ..

وقالت الابنة فى قرف :
— هذا ليس ذنب الأم ..
وقالت الأم فى إصرار :
— هذا ذنب الابنة لأنها تركت أمها تتدخل فى مشاكلها، ولم تعتمد على نفسها وعلى العلاقة الخاصة بينها وبين زوجها..
وقالت الابنة فى سخط :
— كأنك لاتريدين أن تكونى مسئولة عنى ..
وقالت الأم فى هدوء :
— يا ابنتى ان لكل انسان قاربه فى الحياة.. والذى يجدف قاربه بنفسه يستطيع أن يصل به إلى ما يريد، أما الذى يترك أهله يجدفون له فهو يصل إلى ما يريده أهله لا إلى ما يريد هو.. وقد ينتهى إلى أن يلقى بنفسه فى البحر هربا من القارب.. فافعلى مثلى وجدفى قاربك بنفسك.. إنى أصل دائما إلى ما أريد لأنى أجدف بنفسى ولنفسى..
وأنت أقرب الناس إلى وأقدرهم على فهمى..
وقالت الأم وهى هادئة :
— قد يكون حديثك لمجرد التفريج عن نفسك.. ولكنى لن أفهمك كما تفهمين نفسك.. ان العلاقات الخاصة بين البنت والولد تقوم على فهم أحدهما للآخر لا على فهم الغرباء عنهما.. ان فهمك لعصام ينطلق من حبك له، ولكنى لا أحب «عصام» كما تحبينه لذلك لايمكن أن يلتقى فهمى له بفهمك له ..
وقالت الابنة فى رفض :
— ولكن الكلام يفتح آفاقا جديدة أمام العقل فيستطيع أن يجد الطريق الأصح ..
وقالت الأم وهى تهز رأسها رفضا :
— الكلام يضخم المشاكل وقد يتسبب فى أن تتوه البنت عما هو فى صالحها.. هل تعلمين.. اننى منذ تزوجت أباك ونحن نتعرض لمشاكل كثيرة بينى

وبينـه.. ولكننى تعمدت ألاأتحدث عن هـذه المشاكل والخلافـات مع أحـد.. حتى ولا مع أمى أو أختى.. بل اننـا كنا أحيـانـا نتخاصم فـلا يـدرى أحد أننـا متخـاصمان ولايحس أحد بمظهـر من مظـاهر هـذا الخصـام حتى ولا أنت أو أخـوك.. كنت أصر على الاعتماد على نفسى وعلى العلاقة بينى وبينه وعلى الربـاط الذى يربطنى به حتى أستطيع أن أحل المشكلة وأسـوى الخلاف.. وأعتقد أن هذا هو الأسـاس الذى يمد فى عمر زواجنا ويسعدنا.. ويجعل من المشاكل والخلافات مجرد أيام قصيرة عابرة ..

وقالت الابنة فى حدة :

— ليس كل الناس مثلك.. ان «فتحية» ابنة جـارتنا تقول لأمها كل شىء يجرى بينها وبين زوجهـا.. ماذا قال اليـوم.. وأين ذهب.. وماذا دفع من مصروف البيت .. بل انها تقـول لها مـاذا يحدث بينهما فى الفراش.. انها وأمها كأنهما قطعـة واحدة.. ولاشك أن الأم تحل لابنتها كل مشاكلها..

وقالت الابنة ساخطة :

— انك لاتريدين أن تتعبى نفسك بالتجديف لى ..

وقالت الأم ضاحكة :

— لقـد كنت أتعمد ألا أتعب أمى أو أبى أو أحـدا من أهلى.. بل انى عندمـا جاءتنى ساعة ولادتك لم أبلغ أمى حتى لا أتعبهـا وأوقظها من النـوم لتترك بيتهـا فى منتصـف الليل، بل ذهبت إلى المستشفى وحـدى مع أبيك ووضعتك.. وفى صبـاح اليوم التالى جاءت أمى لتفرح بى وبك.. إلى هذا الحد كنت حريصـة على تحمل المسئوليـة وحدى حتى لا أتعب أمى.

وقامت الابنة وقالت فى برود :

اطمئنى.. أعدك أنى لن أتعبك أبدا.. أبدا..

وقالت الأم وهى تشدها لتجلس بجانبها

— قولى لى.. ماذا حدث بينك وبين صديقك «عصام» ؟!

* * *

قالت الأم وعيناها مفتوحتان فى دهشة :

— أرأيت «مسعدة» بعد أن جاءت من القرية ..

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— رأيتها .. مالك مبهورة كل هذا الانبهار ؟!

وقالت الأم المنبهرة :

— جسمها .. جسمهـا يا ابنتى .. انها تبدو وكأنها لا تـزال فى عز شبـابها رغم أنها تقـاربنى فى العمـر.. القوام ممشـوق.. والبطن مشفوط.. والنهدان مكتنزان بـارزان كأنها لم ترضع أولادها.. والعنق مشدود وليس فيه تجعيدة واحدة.. والوجه أملس.. تجنن .

وقالت الابنة ضاحكة :

— البركة فى البلاص ..

وقالت الأم من خلال دهشتها :

— تكلمى جـادة .. مادخل البـلاص فى الاحتفاظ بجمال ورشـاقة الجسم.

وقالت الابنة من خلال ابتسامتها :

— انى جـادة يامـامـا.. فالبـلاص هـو الذى يحتفظ بهذا القـوام الجمل لكل الفـلاحات.. ان الفلاحـة تتعود منـذ نشأتها على أن تحمل البلاص على رأسهـا وتسير به حتـى الترعة ثم تعـود به ثقيـلا مملوءا بالماء وهـى تحمله فـوق رأسها أيضـا.. وتعودت أن يكون رأسهـا مرفوعـا وهو تحت البلاص، وقـوامها مشدودا وخطواتها ثابتة.. وهـذه هى الرياضة المثلى لـلاحتفاظ بجمال الجسم.. ولـو أننى جمعت بنـات القريـة وجعلت كلا منهن تلبس بنطلـونا أو «مـايوه بيكينى» وذهبت بهن إلى نـادى الجزيرة أو شـاطىء العجمـى أو المنتـزه، لاكتسحن عيون الرجال.. واعترفوا بهن كملكـات جمال.. وربما لطشن الشبان

وتزوجـن وأصـبحن مـن بنـات الـذوات ..

وقالت الأم ساخرة :

— اذن سأشترى بلاصا لاستعادة رشاقتى ..

وقالت الابنة فى حماس :

— لقد اعترف برياضة البلاص فى كل أنحاء العالم.. وأصبحت كل عيادات العلاج الطبيعى وأندية الرشاقة، تضع شيئا ثقيلا على رأس المرأة وتأمرها بالسير مرفوعة الرأس مشدودة القوام حتى تصبح رشيقة.. لقد كانت «مارلين مونرو» تضع على رأسها مجموعة من الكتب وتروح وتجىء سيرا على قدميها لمدة ساعة.. ولاتزال الناس تتحدث عن رشاقة «مارلين مونرو» حتى بعد أن ماتت ..

وقالت الأم فى إصرار :

— اعطينى كتبك لأضعها فوق رأسى وأمشى ..

وقالت الابنة وهى تهز رأسها فى حسرة :

— لا أمل لن تصلى ولن تصل أى امرأة من نساء المدينة إلى جمال قوام الفلاحة ..

وقالت الأم وهى تلوم ابنتها :

— لماذا تخيبين أملى .. لماذا ؟!

وقالت الابنة فى هدوء وكأنها تحادث نفسها :

— لأن الفلاحة لاتحمل البلاص كرياضة، ولايخطر على بالها أنها تحمله للاحتفاظ بقوامها ورشاقتها.. انها تحمل البلاص لأن مطالب الحياة تفرض عليها حمله.. لذلك فهى تحمله وتسير به كل يوم دون تعمد ودون افتعال ودون أن تتكاسل يوما أو تهرب يوما من حمله.. أما نحن فإذا حملنا فوق رؤوسنا بلاصا أو شيئا ثقيلا فإن إحساسنا بأننا نؤدى رياضة ليست مفروضة علينا سيجعلنا نواظب يوما أو يومين ثم نتكاسل ونهرب من هذه الرياضة.. وهذا ما يحدث

لكل البنات والنساء اللاتى يزاولن رياضة التخسيس.. تريهن يوما رشيقات وبعد مدة يعدن كما كن منتفخات ومترهلات ..

وقالت الأم فى عصبية :

— على كل حال أنا لا أعتقد أن البلاص هو سر رشاقة الفلاحة.. ان سرها فى الطعام الذى تأكله.. ان طعام الفلاحة ليس فيه دهنيات ولانشويات ولاسكريات.. وسأبدأ من الغد فى اتباع رجيم الأكل..

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى إشفاق :

— أى رجيم ؟

وقالت الأم منطلقة فى حماس :

— رجيم الموز .. ثلاثة أيام فى الأسبوع لا آكل إلا الموز .. وبذلك ينقص وزنى خمسة كيلو جرامات كل شهر..

وقالت الابنة المشفقة :

— انه رجيم يسبب الإعياء وستجدين نفسك بعد الأيام الثلاثة الأولى مريضة ..

وقالت الأم وفى عينيها حيرة :

— سأتبع رجيم الأرز المسلوق واللبن الزبادى ..

وقالت الابنة ضاحكة :

— لن تستطيعى أن تستمرى طويلا فى مقاومة الملوخية والمصقعة والمكرونة بالبشاميل ..

وقالت الأم فى إصرار :

— سأتبع الرجيم الأمريكانى .. انه يضم كل الأصناف بما فيها اللحوم والخضار ..

وقالت الابنة كأنها تهدى أمها إلى العقل :

— يا ماما انك لن تستطيعى أن تحافظى على الرجيم إلا إذا أكلت دائما وحدك.. لأنك عندما تأكلين معنا تقعين تحت إغراء الأصناف الأخرى التى نأكلها نحن.. ويبوظ الرجيم.. وهذا ما يحدث لكل

من تتبع الرجيم.. تحافظ على الرجيم يوما أو أسبوعا ثم تقع تحت إغراء المأكولات الموضوعة على المائدة.. وأنا أعرف أنك لن تقبلى أن تأكلى وحدك.. تصرين على أن تكونى معنا ونحن نأكل.. هذه طبيعة الأم..

وقالت الأم فى سخط :

— أنت تغلقين كل الأبواب أمامى ..

وقالت الابنة وهى تحاول أن ترفه عن أمها :

— الباب المفتوح هو محاولة التغلب على طبيعتك.. أن تقومى من هذه الجلسة التى تجلسينها بالساعات فوق الأريكة وتتحركى.. ان تتحركى طول اليوم سواء كنت داخل البيت أو خارج البيت.. إن الحركة غير المفتعلة التى يفرضها العمل هى الرياضة المثلى المستمرة.. ثم لاتخصصى نوعا من الأكل خاصا بك بل يكون كل أكل البيت عبارة عن رجيم خال من الدهنيات والنشويات والسكريات .. و ..

وقاطعتها الأم فى غضب :

— انك تتصورين نفسك أستاذة لأنك رفيعة ورشيقة ..

وقالت الابنة فى أسى :

— انى أخشى المستقبل ..

وقالت الأم الغاضبة :

— أى مستقبل ؟!

وقالت الابنة وهى تتنهد :

— مستقبل الوراثة .. فأنت أيضا كنت رفيعة ورشيقة إلى أن تزوجت وأنجبت فأصبحت بدينة وترهلت ..

وقالت الأم ساخرة :

— وكيف تتقين هذا المستقبل ؟!

وقالت الابنة كأنها تحلم :

— لن أتزوج ولن أنجب ..

وضحكت الأم قائلة :

— يوم تقررين الزواج لن يهمك إذا كنت بعده رشيقة أم مفركشة.. اسألينى أنا :

قالت الأم وكأنها تصرخ :

— هل سمعت قصة صديقتنا «ايزيس» ؟

وقالت الابنة فى دهشة :

— من هى صديقتنا «ايزيس» ؟

وقالت الام وكأنها تلوم ابنتها :

— انك لا تتذكرين ايزيس .. لقد كانت من أعز صديقاتى.. وهاجرت مع زوجها إلى استراليا منذ أكثر من خمسة عشر عاما.. وكنت أنت لاتزالين طفلة.. وكانت «ايزيس» منذ أن هاجرت ترسل لى خطابا كل شهر تقريبا وأرسل لها.. ولكن مع السنوات تباعدت خطاباتنا حتى انقطعت.. ولكنى كنت أسمع أخبارها من ابنة عمها «نجيبة هانم» التى لاتزال تراسلها.. إلى أن سمعت الخبر الأخير .. مصيبة ..

وقالت الابنة فى لهفة :

— أى مصيبة ؟

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— لقد هربت ابنتها سناء من البيت ..

وقالت الابنة فى برود وكأنها تستهين با لمصيبة :

— وهل أبلغت الشرطة ؟!

وقالت الأم وهى تزداد قرفا :

— ممنوع .. ممنوع هناك أن تبلغى الشرطة للبحث عن ابنتك..

وقالت الابنة وهى لاتزال باردة :

— لماذا ؟

وقالت الأم فى حدة :

— لأن القوانين الاجتماعية هناك تبيح للبنت أو

للولد حق الهروب من البيت بعد سن السادسة عشرة.. وليس من حق الأب أو الأم أو أى قوة أن تعيد البنت إلى بيتها رغم أنفها .

وقالت الابنة وهى تنظر إلى أمها فى إشفاق :

— يا أمى، هذا لا يعتبر هروبا من البيت ولكنه يعتبر حق البنت فى أن تعتمد على نفسها وتمارس حريتها بعد سن السادسة عشرة.. وهم هناك يعتبرون سن السادسة عشرة هى سن البلوغ الاجتماعى.. بعدها يستطيع كل فرد أن يتحمل مسئولية نفسه .

وصرخت الأم :

— هذه تسمى فوضى اجتماعية .. كيف نترك البنت تعيش وحدها مع شلة من صديقاتها وهى لاتزال طفلة فى السادسة عشرة.. كيف نتركها تهرب من رقابة العائلة لنتركها تقع فريسة للشبان وتروح ضحية الخداع والشهوة .

وقالت الابنةمتحمسة :

— يا ماما ان رقابة الأهل لم تعد أساس تربية البنت .. وما تستطيع البنت أن تفعله وهى بعيدة عن الأهل، تستطيع أن تفعله وهى تعيش مع أهلها.. المهم هو ماذا تريد أن تفعله.. وهذا يعتمد أولا وأخيرا على قوة شخصيتها وعلى المبادىء ونوع الحياة التى تؤمن بها.. زمان.. فى الأجيال القديمة.. كانت البنت محرومة من الخروج من البيت، فكانت الخطايا تتم داخل البيت حتى مع الخدم، بل جاء وقت اشتهرت وتعددت فيه حوادث هروب البنات مع سائق سيارة العائلة.. فى حين أن هناك بنات كثيرات يعشن اليوم وحدهن يتلقين العلم فى الخارج، أو يقمن فى بيوت الطالبات، ورغم ذلك لايقعن فى الخطيئة .

وعادت الأم تصرخ :

— لا أستطيع أن أتصور فتاة فى السادسة عشرة تستطيع أن تصون نفسها بعيدا عن رقابة

الأهل.. انها فى هذه السن تعتبر طفلة.. عبيطة.. ساذجة ..

وقالت الابنة وهى تصرخ كأمها :

— هذا هو سر تأخر مجتمعنا .. المجتمع الشرقى كله.. اننا نعتبر الابنة طفلة حتى بعد أن تصل إلى العشرين أو الثلاثين.. لانعترف أنها بلغت سن الرشد ولا نطمئن عليها إلا بعد أن تتزوج.. وكأن الزواج هو شهادة ميلاد البنت.. الشهادة التى تعترف بشخصيتها المستقلة بالنسبة لأهلها.. فى حين أن المجتمعات المتقدمة تحمل الابن والابنة المسئولية كاملة منذ سن السادسة عشرة.. بل ان من حق الأب أن يمتنع عن الانفاق عن أولاده بعد هذه السن.. ولذلك فالشعب هناك أكثر تقدما منا لأن الأفراد يتحملون مسئولية أنفسهم فى سن مبكرة.. ويمارسون الحياة قبل أن نمارسها.. ان كثيرا من عباقرة التاريخ بدأوا حياتهم وهم يبيعون الصحف فى الشوارع وهم أطفال.. ومن ثمن بيع الصحف يشترون العلم ويدخلون المدارس..

وقالت الأم كأنها تبكى :

— يا ابنتى لاتنسى أن أبا «سناء» رغم أنه يعيش فى استراليا، إلا أنه من أصل صعيدى مصرى.. فكيف يحتمل أن تعيش ابنته وحدها.. حرة.. على كيفها.. كيف يستطيع أن يتخلص من تقاليد الصعيد التى ترسبت فى أعماقه.. لقد قالت صديقتنا «إيزيس» فى خطابها.. انها ذهبت هى وزوجها إلى ابنتها حيث أصبحت تعيش بعيدا عنهما فى شقة خاصة مع إحدى صديقاتها.. وتحايلا عليها لتعود إلى البيت.. ولكن البنت رفضت وأصرت على الرفض حتى وهى ترى دموع أمها وأبيها..

وقالت الابنة فى هدوء :

— إذا كان أبو «سناء» صعيديا. فابنته ليست صعيدية.. انها ولدت فى استراليا وعاشت المجتمع الاسترالى وأصبحت استرالية كاملة، بل الأغلب أنها لاتتحدث اللغة العربية لأنها ليست لغة المجتمع

الاسترالى.. وكل ما يستطيعه الأب هو أن يثق بابنته داخل هذا المجتمع لا داخل المجتمع الذى نشأ فيه.. مجتمع الصعيد.. المهم.. ان «سناء» لاتستطيع أن تعيش بعيدا عن البيت إلا إذا عملت حتى تستطيع ان تعول نفسها .. فهل تعمل سناء ؟

وقالت الأم فى حسرة :

— ان إيزيس تقول فى خطابها أن ابنتها تعمل فى محل تجارى، فى الوقت نفسه تستكمل دراستها فى الجامعة .. ورغم ذلك فإن أباها يصر على أن يرسل لها مبلغا شهريا حتى يعينها على مصاريف الحياة.. لأنه يخشى أن تحتاج يوما ويدفعها الاحتياج إلى أن تلقى بنفسها فى أحضان شاب ينفق عليها.. انه يحميها من الاضطرار لأن تبيع نفسها .

وقالت الابنة فى احتقار :

— انها عقلية رجعية .. ان الخطيئة ليست مقصورة على المحتاجات.. أغنى بنات البلد يقعن فى الخطيئة ويستسلمن لها.. ولو كان هذا الأب متحضرا لما أرسل لابنته قرشا واحدا حتى يضطرها إلى الاعتماد على نفسها فتتعلم الحياة وتبنى مستقبلا واقعيا ناجحا ..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى لوم :

— هل كنت تستطيعين أن تتركى أنت البيت ؟

وقالت الابنة وكأنها ترثى نفسها :

— كنت أتمنى !

وقالت الأم فى غيظ :

— ولماذا لاتتركينه ؟

وقالت الابنة فى حسرة :

— لأنى لا أتحمل دموعك ولا دموع بابا ..

* * *

قالت الأم وهى تستقبل ابنتها العائدة من الجامعة :

— لقد كانت «عزيزة هانم» فى زيارتنا ..

وقالت الابنة وهى تلقى بنفسها على المقعد :

— وما أخبارها ؟!

وقالت الأم بسرعة وكأنها فرحة بحكاية جديدة :

— ان ابنتها «سميرة» تريد أن تترك العمل ..

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— لأنها تعمل فى مؤسسة حكومية وتريد أن تعمل فى بنك أو فى مكتب أو فى شركة أجنبية.. أليس كذلك؟! كل البنات يحاولن الآن ترك الحكومة والعمل فى الأعمال الحرة.. المرتب أكبر.. أكبر جدا.. ان أى فتاة تعمل فى بنك أجنبى لايقل مرتبها عن مائة جنيه.. وأعرف فتاة تعمل سكرتيرة وصل مرتبها إلى مائتى جنيه رغم أنها متخرجة منذ عامين فقط.. ان «سميرة» لها حق إذا فكرت فى ترك العمل بالمؤسسة..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تعد لها مفاجأة :

— ليس هذا هو السبب الذى تترك «سميرة» العمل من أجله ..

وقالت الابنة وهى لا تزال باردة :

— ما هو السبب ؟!

وقالت الأم وهى تمصمص شفتيها :

— ان رئيسها يضايقها ..

وقالت الابنة وقد بدأت تهتم :

— كيف يضايقها هل هو الذى يضايقها أم أنها لاتطيق العمل؟!

وقالت الأم كأنها تلقى قنبلة:

— إنه هو.. انه يغازلها.. وهو يدعوها إلى مكتبه كل يوم عشر مرات لأسباب تافهة.. ثم بدأ يطلب منها أن تلقاه خارج العمل..

وقالت أمر طبيعى لايثير الغضب ولاالتفكير فى ترك العمل..

وصاحت الأم:

— ماالذى تقولينه.. كيف يغازلها وهو أكبر منها

بعشرين عاما ومتزوج وله أولاد وربما كانت ابنته أكبر من «سميرة»..

وقالت الابنة تقاطع أمها:

— ياماما كل البنات معرضات لغزل الرجال سواء فى العمل أو فى الشارع.. والغزل يرضى غرور البنت ويقنعها بأنها جميلة ومثيرة.. والمهم هو تصرفات البنت وهى تتلقى هذا الغزل.. انها تستطيع دائما أن تصده وتحترم نفسها وهى تحتفظ بابتسامتها..

وصاحت الأم:

— كيف تستطيع أن تصد غزل هذا الرجل وهو رئيسها فى العمل ويسيطر على مصيرها كفتاة عاملة.. يمنحها العلاوات والترقيات والمناصب إذا استجابت. ويخرب حياتها ويعكنن عليها إذا رفضت..

وقالت الابنة فى هدوء:

— رغم كل هذا تستطيع أن تصده لو استطاعت أن تحترم نفسها..

وقالت الأم ساخرة:

— وكيف تستطيع ياحبة عينى أن تحترم نفسها؟

وقالت الابنة وهى تطلق عينيها فى الفضاء كأنها تتصور نفسها

— ان يشمل الاحترام كل شخصيتها.. الثوب الذى ترتديه فى العمل.. وخطواتها فى مشيتها.. وتسريحة شعرها.. والأصباغ على وجهها.. والابتسامة التى تبدو على شفتيها.. والمواضيع التى تقبل أن تتحدث فيها.. وعلاقاتها بزملائها وزميلاتها.. كل شىء يجب أن تقيسه بمقاييس الاحترام..

وقالت الأم وكأنها دهشة من ثقافة ابنتها:

— هل جربت الغزل.. هل يغازلك الطلبة فى الجامعة؟

وقالت الابنة فى بساطة:

— طبعا.. كل بنت تدخل الجامعة تتعرض للغزل خصوصا فى العام الأول.. وينتهى الطلبة بعد محاولاتهم إلى تقسيم البنات إلى أنواع.. فهذه بنت

سهلة.. وهذه بنت صعبة.. وهذه بنت مستحيلة.. وقد أقنعت الطلبة بأنى بنت مستحيلة..

وصاحت الأم فى غيظ:

— كذابة.. ان علاقتك بزميلك «عصام» ليست مجرد علاقة صداقة.. وقد اعترفت لى..

وقالت الابنة وهى لاتزال هادئة:

— أنا التى اخترت «عصام» فى حدود احترامى لنفسى.. ولذلك فعلاقتنا محترمة.. وأى علاقة بين البنت والولد لايمكن أن تبدأ إلا إذا قبلت البنت أن تبدأ.. ومنحت الولد الحق فى أن يبدأ.. وعلى البنت أن تحدد كيف تبدأ هذه العلاقة وكيف تستمر وإلى أين تنتهى.. انها مسئولية البنت وليست مسئولية الولد..

وقالت الأم وهى فى قمة الغيظ :

— ولكن «سميرة» لم تقبل أن يبدأ رئيسها فى مغازلتها ..

وقالت الابنة فى إصرار :

— مستحيل.. لابد أنها شجعته على مغازلتها فى البداية على اعتبار أنها لن تخسر شيئا.. مجرد كلمات ترضيه بها حتى تكسب نفوذه وسلطانه فى خدمة أغراضها.. ولكنها أفاقت بعد أن وصلت مطالبه إلى الحد الذى يكلفها الكثير ..

وقالت الأم متهكمة :

— وكيف تستطيع اليوم أن تصد هذه المطالب دون أن تخسر عملها ووظيفتها ؟.

وقالت الابنة فى هدوء :

— بأن تسترد احترامها لنفسها وتحاول أن تفرض عليه هذا الاحترام دون ضجة ودون فضيحة..

وقالت الأم فى حدة :

— هذا كلام فاض.. كلام لا علاقة له بواقع

الرجال.. لقد وجدت «عزيزة هانم» الطريق الصحيح لانقاذ ابنتها .

وقالت الابنة فى دهشة :

— ماذا وجدت ؟

وقالت الأم كأنها تعلن فرحة الانتصار :

— ستذهب إلى زوجة الرئيس وتحكى لها الحكاية وتطلب منها أن توقف زوجها عند حده ..

وصاحت الابنة كأنها تستجير :

— انها مغفلة .. وستقضى على مستقبل ابنتها .. فكل ما يهم الزوجة هو أن تدارى فضيحة زوجها حتى لا يطرد من عمله .. لذلك ستتفق معه على وسيلة للتخلص من «سميرة» وابعادها عن العمل.. قد يدبر لها فضيحة أخلاقية أو جريمة رشوة.. وتطرد «سميرة» وينال زوجها مكافأة لحرصه على تطهير المؤسسة ..

وصاحت الأم ردا على صياح ابنتها :

— انتن المغفلات .. لاتعشن واقع الرجال ..

وقامت الابنة تجرى خارج الغرفة قائلة :

— مصيبة الامهات انهن يعشن واقع زمان.. ولايستطعن أن يفهمن واقع هذه الأيام .

* * *

عادت الابنة إلى البيت وهى ساهمة لاتتكلم. وسألتها الأم وهى تحتضنها بعينين جزعتين :

— أين كنت ؟

وقالت الابنة الساهمة :

— كنت مع «عصام» ..

وقلت الأم فى دهشة :

— هل تصالحتما بعد هذا الخصام الطويل ؟

ورفعت الابنة عينيها كأنها أفاقت من خواطرها وقالت :

— لم نتصالح ولم نعش خصامنا فقد كنا فى

مشكلة بعيدة عنا ولكنها تشغل بالنا نحن الاثنين .

وقالت الأم فى لهفة :

— أى مشكلة ؟

وقالت الابنة وكأنها ترثى عزيزا عليها :

— مشكلة «نيفين» ..

وقالت الأم وصوتها يرتفع كأنها تحث ابنتها على الكلام :

— من هى «نيفين».. تكلمى يا ابنتى.. احكى لى ؟.

وقالت الابنة وهى تتنهد فى أسى :

— انها زميلتى فى الكلية.. وهى تحب زميلنا «خليل».. وهو صديق «عصام».. وقد مضى على حبهما عامان ثم قررا الزواج.. وتقدم «خليل» إلى أهلها فرفضوه ..

وقالت الأم بسرعة :

— رفضوه لأنه لايزال طالبا ..

وقالت الابنة فى حدة كأنها تلوم أمها :

— انه ليس مجرد طالب .. انه شاب يصنع نفسه بنفسه.. وقد حصل على دبلوم التجارة المتوسطة وعمل فى شركة حتى يدارى فقره.. واستطاع فى نفس الوقت أن يحصل على الثانوية العامة وأن يلتحق بالجامعة أملا فى أن يحصل على الشهادة ويصل إلى مركز أكبر ومرتب أكبر..

وقالت الأم وهى متلهفة على سماع الحكاية :

— إذن لماذا رفضوه ؟

وقالت الابنة وقد عادت ساهمة :

انها حكاية طويلة ..

وقالت الأم فى توسل :

— احكى يا ابنتى الحكاية .. وحياة مامتك ..

وقالت الابنة وكأنها تحادث نفسها :

— ان نيفين تعيش مع أختها بعد أن توفى أبوها

وتزوجت أمها من زوج آخر عاشت معـه بعيدا عن أبنائها.. والاخوة هم الذين رفضوا زواجها من «خليل» .

وقالت الأم متعجلة :

— هل هم أخوة كبار ؟ ..

وقالت الابنة الساهمة :

— انهم كبار .. وهم يعملون ويكسبون .. وهم الذين ينفقون على البيت .. و«نيفين» لاتملك إلا معاش أبيها وهو لايتعدى ثمانية جنيهات فى الشهر.. وقد كانت تعلم أن أخوتها سيرفضون زواجها ومنعت «خليل» من الذهاب إليهم.. ولكن أمل الزواج ظل يلح عليهما حتى ذهب «خليل» وقابل أم نيفين.. ووافقت الأم ورحبت بالعريس .. ولكنها عندما أبلغت أبناءها بالخبر ثاروا ثورة عنيفة واعتبروا أن أختهم فتاة منحلة .. فمادام « خليل » قد جاء لخطبتها فلا شك أنه كان يعاشرها ولعلها عاشرت قبله كثيرا من الطلبة .. ثم من هو « خليل » .. انه عامل فى شركة .. فقير .. ليس له عائلة تشرفهم .. مستحيل .. لا يمكن أن يتركوا أختهم لتتزوج هذا الفقير .. وأكثر من ذلك .. فعندما وجدوا أختهم تلح فى الزواج منعوها من الذهاب إلى الجامعة وفرضوا عليها أن تستعد للامتحان من داخل البيت .. وعندما سمع « خليل » بالخبر هرع إلى اخواتها لعله يستطيع أن يقنعهم .. ولكنهم صرخوا فى وجهه .. ليس عندنا بنات للزواج .. وطردوه ..

وقالت الأم فى دهشة :

— لماذا لا يتزوجها مادامت الأم قد وافقت حتى لو رفض الأخوة.. ان الأم يمكن أن تعتبر وصية ومسئولة عن ابنتها .

وقالت الابنة فى حسرة :

—ان «نيفين» لا تريد أن تتحدى اخوتها.. ثم أنها فى حاجة اليهم ليساعدوها على الحياة حتى بعد أن تتزوج.. ان مرتب «خليل» وكل دخله لا يزيد على

عشرين جنيها.. ومعاشها سينقطع بعد الزواج، فكيف تعيش هى وزوجها بعشرين جنيها فى الشهر . وكيف تجد الشقة والجهاز..

وقالت الأم وهى تمتص شفتيها:

— انهما يستطيعان الانتظار حتى يتخرجا فى الجامعة ويعملا ويحققا دخلا يعينهما على الحياة .

وقالت الابنة فى يأس :

—ان حبهما أقوى من الانتظار.. وقد كان نتيجة الأزمة العاطفية التى يعانيانها أن رسبت «نيفين» فى امتحان آخر السنة.. ونجح «خليل» نصف نجاح. أى نجح وهو راسب فى مادتين والأكثر من ذلك.. لقد صمم اخوتها بعد رسوبها على أن تنتقل من كلية الحقوق إلى كلية الآداب حتى تكون بعيدة عن «خليل».. فأصبحت «نيفين».. تقضى وقتها فى الحقوق مع «خليل» أو يقضى « خليل » وقته فى الآداب مع « نفين » ويقضى الحب على مستقبلهما ولا يبشر لهما بالنجاح فى الامتحانات..

وقالت الأم وقد بدأت تشارك ابنتها فى حسرتها ؟

—ماذا فعلت أنت وعصام.. هل ذهبتما إلى أخوة نفين لتقنعوهم بالموافقة على الزواج ؟!

وقالت الابنة وهى غارقة فى اليأس :

— لا .. لقد التقينا بنيفين وخليل.. وحاولنا أن نقنع «نيفين» بأنها تخطىء وهى تعيش عالة على اخوتها وكانت تستطيع بعد أن حصلت على الثانوية العامة أن تبحث عن عمل وتحصل على أجر تعتمد به على نفسها.. أى عمل .. سكرتيرة.. أو بائعة فى محل تجارى.. أو عاملة فى مصنع أو فندق.. أو حتى مربية أطفال.. وقلنا نفس الكلام لخليل.. كان يستطيع بدل أن يلتحق بالجامعة أن يبحث عن عمل بجانب عمله ليحصل على دخل أكبر.. يستطيع أن

يصل بدخله إلى خمسين جنيها أو إلى أكثر أى إلى دخل يستطيع به وبجانب الدخل الذى تحصل عليه «نيفين» أن يعيشا حياة زوجية كاملة.. أن كل الأعمال اليوم يحترمها المجتمع ما دامت أعمالا شريفة ونظيفة.. والجامعة لم تعد الطريق الوحيد لتحقيق المستقبل الناجح.. ولو حدث ذلك فعلا فلن يكون لمعارضة الاخوة فى زواجهما قيمة.. يستطيعان أن يتزوجا وهما فى غنى عن هؤلاء الأخوة .

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها كأنها لا توافق على رأى ابنتها :

— أى كنتما تنصحانهما بأن يتركا الجامعة ويبحثا عن عمل.. هل وافقا ؟

وقالت الابنة اليائسة :

— لا أظن .

وقالت الأم فى حماس :

— ولا أنا أوافق.. ان الجامعة هى الأساس، والزواج يمكن أن يتأجل ولا يمكن أن يتم على حساب الشهادة الجامعية .

وقالت الابنة ساخرة :

—ان نيفين مثلك.. دقة قديمة.. لا تزال بالعقلية التى تفترض أن الشهادة الجامعية هى شهادة الميلاد.. العقلية التى لا تستطيع أن تتطور لتعيش الحياة الجديدة .

قالت الأم وهى تمصمص شفتيها فى اسى :

— صديقتنا «أمينة» أصيبت بانهيار عصبى وحملوها إلى الطبيب..

وقالت الابنة فى جزع :

— لماذا.. ماذا جر عليها الانهيار ؟

وقالت الأم وهى تتنهد فى حسرة :

— المذاكرة .

وقالت الابنة فى دهشة :

— هل التحقت بالجامعة وبدأت تذاكر من جديد ؟!

وقالت الأم وكأنها تلوم ابنتها :

المذاكرة للجامعة لا تؤدى إلى الانهيار.. ولكنها كانت تذاكر لابنها «سونة» وظلت تذاكر له حتى أصيبت بالانهيار .

وقالت الابنة وكأنها اطمأنت :

— انى أعلم أن «سونة» ولد شقى حتى يمكن أن يجنن أمه بشقاوته .

وقالت الأم فى حدة :

— لا.. ليست شقاوة «سونة» هى التى جننت أمه ولكنها دروس المدرسة المفروضة عليه وعلى أمه .

وقالت الابنة ساخرة :

— دروس المدرسة لا تجنن الا الكسالى والأغبياء.

وصرخت الأم :

انك لا تعلمين ما هى هذه الدروس انها تجنن أنشط وأذكى الناس.. وأنت تعرفين أن «سونة» فى المدرسة الابتدائية وانه فى الثامنة من عمره.. ورغم ذلك فالمدرسة تفرض عليه دروسا فى الحساب.. وفى الدين .. وفى اللغة العربية والانجليزية.. وفى العلوم أى الكمياء والفزياء وعلم الحيوان.. و.. و.. كل هذا لا يمكن أن يستوعبه عقل طفل فى الثامنة من عمره .

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— لابد أنهم يعلمونه المبادىء الأولية ويعرضونها له فى قصص وحكايات كالتى فى كتب الأطفال .

وقالت الأم فى حسرة :

— أبدا.. انهم يدرسونها له كأنه رجل كبير .. انه فى الدين يجب عليه أن يحفظ الآية ويكتبها ويفسرها.. تصورى.. أن الشيخ عبدالغفار القارىء قال أن العقل العادى لا يستطيع أن يحفظ هذه الكمية من الآيات ويكتبها إلا اذا تفرغ لها عشر سنوات.. ومفروض فى المدرسة أن يحفظها الطفل

ويكتبها فى تسعة أشهر فقط.. أى فى عام دراسى واحد.
وقالت الابنة فى زهق :
— لابد أن المدرسة حسبت حساب كل هذا :
وقالت الأم وصوتها يضج بالسخط :
— أن المدارس عندنا لا تحسب حساب شيء.. ان «سونة» يعود من المدرسة كما ذهب.. بلا شيء جديد فى رأسه.. تصورى.. لقد كانت أمه تذاكر له اللغة الانجليزية وسألته ما معنى كلمة هؤلاء فقال لها أن معناها «زرار» فلطمت «أمينة» خديها وصرخت من مصيبتها فى ابنها.. وبعد ذلك تقولين أن المدرسة تحسب حساب كل شيء.
وقالت الابنة فى تعجب :
— ولكن لماذا أصيبت طنط أمينة بالانهيار ؟.
وقالت الأم الساخطة :
— انهارت لأنها هى نفسها لا تستطيع أن تستوعب كل هذه المواد ولا تعرف كيف تدرسها لابنها . فتعبت من المواد وتعبت من ابنها.. وقد كانت تبذل جهدا مضنيا.. لقد اشترت نسخة من كل كتاب يدرسه ابنها.. وكانت تقضى طول النهار فى دراسته ثم تستلم ابنها بعد أن يعود من المدرسة وتبدأ فى التدريس له.. هى نفسها تلميذة بالنهار مدرسة فى المساء .. حرمت نفسها من متعة الخروج ومن زيارة صديقاتها لتتفرغ للاستذكار لابنها .. إلى ان انهارت ..
وقالت الابنة :
— لماذا لا تعتمد على الدروس الخصوصية ؟!
وقالت الأم بسرعة :
— انها تؤجل الدروس الخصوصية إلى الشهرين الأخيرين قبل الامتحان حتى توفر فى المصاريف .. رغم ذلك فقد حدث ان اتفقت مع إحدى المدرسات على أن تعطى ابنها دروسا خصوصية واشترطت المدرسة أن تكون الدروس داخل المدرسة

بعد انتهاء الدراسة .. وقبلت أمينة .. وكانت تدفع لها جنيها فى الساعة.. وفى يوم ذهبت إلى المدرسة فى ساعة هذا الدرس فوجدت ابنها يجلس وحده وأمامه كتاب مفتوح وليس معه المدرسة .. أين ذهبت ؟. قال أن المدرسة ذهبت إلى دورة المياه .. فانتظرتها أمينة عشر دقائق ولم تظهر المدرسة فقامت تبحث عنها فى أنحاء المدرسة إلى أن قال لها البواب أنها خرجت .. وقد تعود قبل نهاية الدرس حتى تضمن الأجر .. هكذا أصبح المدرسون والمدرسات فكيف يمكن الاعتماد عليهم ؟.
وقالت الابنة ساخرة :
— لقد كنت أنا فى المدرسة الابتدائية وكنت أنجح .. طبعا لأنى كنت نبيهة وشاطرة ولست كهذا الولد سونة ..
وقالت الأم فى قرف :
— المدرسة على أيامك كانت أكثر احتراما منها اليوم .. كان عدد الطلبة أقل .. وكان المدرسون أكثر احساسا بمسئولياتهم .. ثم أنى أنا نفسى كنت أيضا أذاكر لك دروسك بعد عودتك .. ولولا رحمة الله بى لكنت أصبت أيضا بالانهيار .. انك تعلمين أن أثقل ساعات الأم هى الساعات التى تذاكر فيها لأولادها ..
وسكتت الابنة برهة ثم قالت كأنها اكتشفت اكتشافا جديدا :
— عندى فكرة .. أن تذهب الأم مع أولادها إلى المدرسة خلال التعليم الابتدائى والاعدادى حتى تستوعب الدروس وتستطيع أن تستذكرها لهم بعد أن يعودوا إلى البيت ..
ولوت الأم شفتيها فى قرف وقالت :
— هذه فكرة سخيفة .. فكيف تسع فصول المدرسة للامهات .. ثم افرضى أن الأم لها ابن فى ثانية وابنة فى سنة ثالثة فبجانب أى منهما تجلس ..
وقالت الابنة فى حماس :
— عندى فكرة أخرى .. أن نقيم مدرسة خاصة بالامهات تدرس ما يحتاج طفل كل منهن من دروس ويتعلمن أيضا كيف يحترفن مهنة التدريس .. حتى

لايعجزن عن استيعاب دروس أبنائهن ولا عن أسلوب المذاكرة والتدريس.

وقالت الأم وهى لا تزال قرفانة :

— كلام فاض أيضا ..

وقالت الابنة فى سخرية :

— وما هو الكلام المليان ؟.

وقالت الأم فى حماس :

— ان تعود المدارس كما كانت على أيامنا .. الفصل لا يضم أكثر من عشرين طالبا وطالبة حتى تستطيع المدرسة أن تكون مسئولة عنهم .. وهذا يتطلب أن يزداد عدد المدارس إلى الضعف وعدد المدرسين والمدرسات إلى ثلاثة أضعاف .. وهذا أمل بعيد ..

وقالت الابنة وهى تقوم وتجرى :

— الأمل القريب هى أن تطلق حرية افتتاح المدارس الخصوصية.. وسأبدأ الآن فى وضع مشروع لأكون صاحبة مدرسة خصوصية بعد أن أتخرج فى الجامعة .. وستكونين أنت يا ماما ناظرة المدرسة .. باى باى يا حضرة الناظرة ..

* * *

قالت الأم فى صوت رقيق كأنها تحاول أن تكسب ثقة ابنتها :

— يا ابنتى لماذا لا تحادثيننى عن صديقك « عصام » .. انى أراك أحيانا سعيدة .. وأحيانا شاردة .. وأحيانا تعيسة .. وأنا واثقة بأن السبب دائما هو صديقك « عصام ».. سبب سعادتك وسبب شرودك وسبب تعاستك .. ورغم ذلك فأنا لا أعلم شيئا عما يجرى بينكما .

وقالت الابنة وهى تزفر فى زهق :

— يا ماما لا شىء يجرى بيننا .. ليس هناك ما يستحق أن تعرفيه .. وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى توسل حتى تتكلم :

— لقد سبق أن قلت لى أنك خاصمته بعد أن اكتشفت انه على علاقة بامرأة تكبره سنا .. تعطيه مالا تعطيه أنت ومالا يطلبه منك ..

وقاطعتها الابنة ساخرة :

— وقد قلت لى أيامها ان الرجل لا يحاسب على مثل هذه العلاقات الا بعد الزواج .. أما قبل الزواج فإن طبيعة الرجل تجعله محتاجا لمثل هذه العلاقات الجنسية ..

وقالت الأم فى حماس :

— هذا صحيح إما الزواج وإما ما ملكت أيمانكم.. أى إما زوجة وإما جارية.

وصاحت الابنة ساخطة :

— ان النص على ما ملكت ايمانكم كان اعترافا بوضع اجتماعى قائم .. كانت الجوارى تباع وتشترى علنا .. وكان الرجل يمارس حقه على الجارية علنا .. فإذا أنجب منها فيجب أن يعترف بمن أنجبته ويقبل أن ينسب أولاده من الجارية .. أما اليوم .. فالمجتمع تغير .. ولم يعد من حق الرجال استغلال هذا النص .. المجتمع اليوم لايعترف بالجوارى يبعن ويشترين علنا .. ولم يعد الرجل يستطيع أن يعلن علاقته بالجارية .. والقانون لا يفرض عليه أن يعترف بأولاده منها .

وقالت الأم مبتسمة لتخفف من سخط ابنتها :

— يا ابنتى ليس هناك الآن جوارٍ .

وعادت الابنة تصيح :

— انى اعتبر كل فتاة أو امرأة تقبل أن تكون على علاقة مع رجل بلا زواج .. أى فى الحرام .. اعتبرها جارية ينطبق عليها كل ما ينطبق على الجوارى من قيم اجتماعية ..

وقالت الأم وهى تتنهد يائسة من ابنتها :

— المهم .. ماذا حدث بينك وبين « عصام » .. هل تصالحتما ؟..

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها قرفا :

— لا أدرى إذا كنا تصالحنا أم لم نتصالح .. ولكننا تكلمنا فى الموضوع

وقالت الأم فى لهفة :

— ماذا قلت له ؟!

وقالت الابنة وهى تبتسم ابتسامة ساخرة كأنها تسخر من نفسها :

— ويظهر انى اقتنعت برأيك .. فقد قلت لـه انه لا يهمنى أن يستعمل امرأة فى اشباع طبيعته إلى أن يتزوج .. ولكن مـا يهمنى هو ألا تكون امرأة واحدة .. ان العـلاقـة بين الـرجل والمرأة مهما كـانت طبيعتهـا تنقلب إذا استمرت إلى تعود .. أى ان يعتاد الرجل هذه المرأة .. يعتادها حتى بلا حب .. وقد لا يستطيع الرجل بحكم اعتيـاده أن يتخلص من المرأة التى اعتادها حتى بعد أن يتزوج ، بل قد يتزوجها هى تحت ضغط تعوده عليها .

وقالت الأم فى دهشة ماذا تريدينه أن يفعل ؟!

وقالت الابنة فى اصرا ر :

— إذا كـان مضطرا أن يفعل هـذا الاثم فليلتق فى كل مـرة بامـرأة أخرى حتى يحمى نفسه من التعـود على امرأة معينة .. ويحمينى من أن أكون ضحية تعوده على هذه المرأة ..

وقالت الأم الحائرة :

— وماذا قال « عصام » ؟!

وقالت الابنة وهى تتنهد فى ضيق :

— قال انه سيقطع علاقته بهذه المرأة .. لـن يراها أبدا .. ولن يرى غيرها .. وسيحكم طبيعته بحيث يبقى نظيفا إلى أن نتزوج ..

وقالت الأم فى فرح :

— وهل استرحت وهدأت ؟!

وقالت الابنة وهى ساهمة :

— لا .. لم أهـــدأ .. ان المشكلـــة تشغلنى ولا تجعلنى أطمئن إلى «عصـــام» .. انهم فى مجتمعـات أوروبا وأمريكا يعتبرون الجنس حاجة آدمية عادية كـــالأكل والشرب.. لقد قالت لى «طنط سهير» بعد عودتها من أمريكا انها خـافت على بناتها من إباحة الجنس هنـاك.. انهم يدرسـون الجنس فى المدارس ويتحدثـون عنه فى التليفـزيون.. وقـد قالت لى انها

رأت فى التليفزيون برنامجا خاصا بـا لمراهقات وقد ظهرت فيه فتاة تقول لأمهـا.. يامـامـا لقـد ضقت من بكـارتى.. هل أذهب إلى طبيب ليفض لى البكـارة أم أعتمد على صـديقى.. وقالت انها بعـد أن سمعت هذا الكـلام حرمت على بناتها الجلوس أمام التليفزيون وقررت العودة إلى مصر..

وقالت الأم فى حماس :

— سهير لها حق.. لا يمكن أن نترك بناتنا لمجتمعات أوربا وأمريكا.

وقالت الابنة ساخرة :

— لقد كان المجتمع المصرى أيام زمـان يحسب هو الآخر حساب الجنس.. كانت البنت تتزوج وهى فى السادسة عشرة من عمرها.. وقد تتزوج فى الرابعة عشرة أو حتى الثالثة عشرة.. حتى لا تواجه مشكلة الجنس.. وكانت العائلات تستخدم نساء فقيرات من الريف حتى يكن فى خـدمة شهـوات الأولاد حمايـة لهم من التردد على دور الفسق.. أى كـانت العـــائلات تشترى لأولادهـا الجوارى.. وقـــد انتهى كل ذلك.. لا لتطور العقليات ولكن لتطور الحالة الاقتصادية..

وصرخت الأم من خلال دهشتها :

— من أين عرفت كل هذا.. من أدراك بأيام زمان؟!

وقالت الابنة الساخرة :

— اننا نـدرس الجنس حتى لو كان مجرما فى المدارس.. نـدرسه علميا وتاريخيا واجتماعيا..

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها قرفا :

— وبماذا خرجت من هذه الدراسة ؟

وقالت الابنة وكأنها تبكى :

— خـــرجت بأنى أستطيع أن أحتمل وســـادتى الخالية إلى أن أتزوج ولو تزوجت بعد عشرين عاما.. ولكن.. هل يستطيع «عصام» أن يحتمل وسادته الخالية.

وقالت الأم بلا مبالاة :

— قلت لك أن هناك فارقـا بين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة.. أى طبيعتك.

وصرخت الابنة :

— لا.. انى مصرة على المساواة بين الرجل والمرأة حتى فى طبيعة كل منهما..!

* * *

قالت الابنة وهى ساهمة وصوتها يقطر بالمرارة :

— لا أدرى .. هل هناك فعلا ما يسمى بالحب.. وما هو الحب؟!..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تحاول أن تدخل فى أعماقها:

— ما الذى جعلك تتساءلين اليوم ؟!

وقالت الابنة من خلال مرارتها :

— تصورى ياماما.. ان صديقتى معالى ظلت تحب حسنين خمس سنوات ثم فجأة تركته.. هى التى تركته.. وتركته بلا سبب.. وهى غير نادمة.. على السنوات الخمس التى ضاعت من عمرها.. ولا تحس بما يقال عن عذاب الفراق وجحيم الهجر.. كأنها لم تكن تحب.. أو كأن الحب لا يساوى شيئا..

وقالت الأم فى بساطة :

— لابد أنها فقدت الأمل..

وقالت الابنة فى دهشة :

— أى أمل ؟

ونظرت الأم إلى ابنتها برهة ثم قالت :

— اسمعى ياابنتى.. دعينى أحدثك عن الحب ولو أنك تتهمينني بأنى من الجيل القديم الذى لا يفهم فى الحب.. أن الحب ليس مجرد احساس بين رجل وامرأة.. ولكن هذا الاحساس يتشكل فى صورة مشروع.. وهذا المشروع هو الذى يحدد الأمل.. وفى البداية يكون هذا المشروع هو مشروع زواج.. والأمل هو أن يتم هذا الزواج.. وبعد الزواج يكون مشروع الحب هو النجاح فى الحياة.. وإنجاب الأولاد ونجاح الأولاد.. فإذا لم يجد الحب مشروعا يعيش من أجله يضيع الحب.. يذبل.. يتغلب عليه الملل والسأم ثم اليأس..

وقالت الابنة فى حدة :

— ياماما ان الفتاة فى هذه الأيام لا يمكن أن تبدأ بالتفكير فى الزواج.. الزواج يبدو هذه الأيام كأنه عملية تجارية.. كأن الفتاة تريد أن تبيع نفسها للشاب نظير ثمن.. كم يدفع.. وماذا يقدم لها.. لهذا فإن الحب لم يعد يشترط الزواج..

وقالت الأم كأنها تلوم ابنتها :

— حتى لو بدأت بالاستسلام لا حساسها.. فلا يلبث هذا الاحساس بعد أن يشتد أن يرتبط بالعقل وتبدأ البنت فى التفكير فى المشروع.. أى فى الزواج..

وقالت الابنة وهى أشد حدة :

— ان الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار عاشت فى حب مع الفيلسوف سارتر أكثر من خمسين عاما بلا زواج.. انها إحدى زعيمات المطالبة بحقوق المرأة فى العالم..

وقالت الأم ساخرة :

— ما لنا والأجانب.. ورغم ذلك فلابد أن سيمون دى بوفوار قد عاشت مع سارتر فى مشروع لا يتطلب الزواج.. لابد أن يكون هناك مشروع يجمع بينهما ويحقق أملهما..

وقالت الابنة وكأنها تقاوم منطق أمها :

— حسنين كان يعد معالى بالزواج عندما يستطيع..

وقالت الأم فى هدوء :

— لابد أنها يئست من أنه سيستطيع يوما الزواج.. أو أنه سيقبل الزواج.. وصرخت الابنة فى ثورة:

— حتى بعد الزواج فقد لا يستمر الحب..

وقالت الأم فى برود :

— إذا لم يستمر الحب فقد يستمر المشروع..

وعادت الابنة تصرخ :

— أى مشروع هذا الذى يستمر بلا حب؟!

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تشفق عليها:

— مشروع النجاح فى الحياة والنجاح بالأولاد.. إننى أعرف أن جارتنا سكينة لا تحب زوجها هذا الحب الذى تتصورينه.. ولكنها تتحمله وهو يتحملها لأن النجاح يجمعهما.. انهما ناجحان فى بناء بيتهما.. بيت الزوجية.. وفى توفير النجاح لبناتهما وأولادهما.. ولولا هذا النجاح لفقدا الأمل فى مشروعهما.. أى مشروع الزواج وربما كانا قد انفصلا وطلقا.

وقالت الابنة ساخرة :

— انى أعرف حالات تجمعت فيها كل عناصر النجاح لمشروع الزواج.. ورغم ذلك تم الطلاق.. وكانت الزوجة هى التى أصرت على الطلاق..

وسكتت الأم برهة ثم قالت منطلقة كأنها وجدت الجواب على ابنتها:

— هذه حالات شاذة.. تكون فيها طبيعة المرأة ليست طبيعة عادية.. تكون من طبيعتها انها تضيق بالرجل الواحد ولا تلبث أن تمله وتبحث عن غيره.

وقد تكون امرأة مغرورة بنفسها.. مغرورة بجمالها أو مغرورة بثرائها أو مغرورة بمركز عائلتها.. ويدفعها غرورها الى أن تطمع فى رجل آخر أغنى أو أشهر أو أصغر من الرجل الذى فى يدها.. وأنت تسمعين عن سوسو.. انها امرأة جميلة وذكية وقد تزوجت مرة ومرتين وهى الآن مع الزوج الثالث.. والناس كلهم فى انتظار طلاقها لتتزوج الزوج الرابع.. وانظرى الى الشهيرات من نساء العالم.. كثيرات منهن تزوجن أكثر من مرة لأن غرور كل منهن بنفسها أقوى من حرصها على حياتها الزوجية..

وقالت الابنة فى امتعاض :

— لابد أن كل زوج من أزواج سوسو كان ينقصه شىء..

وقالت الأم بسرعة :

— أبدا.. لو كان أى زوج ينقصه شىء لما اختارته أصلا.. ان الأزواج يصعبون علىّ أحيانا حتى انى أفكر فى أن أطالب بقانون يحمى الأزواج من الطلاق كما يحمى الزوجات..

وقالت الابنة فى حماس :

— هذا دليل يثبت لك أن الزواج لا يمكن أن يستمر بلا حب..

وقالت الأم بسرعة :

— ليس مجرد الحب ولكنه المشروع الذى يحدده الحب..

وسكتت الابنة كأنها يئست من إقناع أمها ثم قالت :

— أى أنك توافقين على أن تترك معالى حبيبها بعد كل هذا الحب وكل هذه السنين..

وقالت الأم فى إصرار :

— ان ما فعلته هو عين العقل.. ولو كان حبهما كاملا لوضعا المشروع منذ العام الأول وتزوجا مهما كانت ظروف حبيبها حتى لو عاشا فى فقر إلى أن ينجح المشروع ويحققا النجاح.. خبرينى.. هل فكرت فى المشروع الذى يجمع بينك وبين صديقك عصام..

***

وقالت الابنة وهى تجرى من أمام أمها :

— لا وقت عندى للتفكير فى مشاريع .. انى أذاكر..

قالت الابنة وفى عينيها نظرات لوعة وإشفاق:

— ان حالة فردوس تقطع القلب..

وقالت الأم فى دهشة :

— لماذا ؟ ان زوجها ترك لها ما يكفيها وما يوفر لها حياة كاملة طول عمرها..

وقالت الابنة وهى لاتزال مشفقة :

— ما ورثته لا يحل مشكلتها.. ليس المهم أن تضمن حياتها ولكن المهم هو كيف تعيش هذه

الحياة.. ومنذ توفى زوجها وهى تتساءل حائرة.. هل تتزوج أو لا تتزوج؟. ومضت ثلاثة أعوام ولا تستطيع أن تخرج من حيرتها..

وقالت الأم وهى لاتزال فى دهشتها :

— وماذا يحيرها ؟

وقالت الابنة وهى تتنهد :

— الأولاد.. وأنت تعلمين أن زوجها ترك لها ولدين وبنتا.. الولد الأكبر فى الثانية عشرة من عمره والبنت الصغيرة أصبحت فى الرابعة من عمرها..

وقالت الأم بسرعة :

— الأولاد لا يمكن أن يحرموها من الزواج مادامت قد وجدت الزوج الذى يرضى بها وبأولادها..

وقالت الابنة وكأنها تلوم أمها :

— ياماما الأولاد لن يحرموها ولكنها هى التى تحرم نفسها من أجل أولادها.. وكل أم عندما تفقد الأب يشتد بها الاحساس بالأمومة وبمسئوليتها عن أبنائها فتقرر أن تهب نفسها لهؤلاء الأبناء بقية عمرها.. ولكنها بعد فترة تبدأ تشعر بالنقص وهى وحيدة.. النقص فى مطالبها كإنسانة وفى وضعها الاجتماعى.. وبخاصة إذا كانت أما صغيرة السن كفردوس..

وقالت الأم فى حدة :

— فردوس يجب أن تتزوج.. انها لن تستطيع أن تعيش كراهبة طول عمرها وإلا تعقدت شخصيتها وأصبحت امرأة معقدة وخير لها أن تتزوج حتى تحمى نفسها من الانحلال ومن التعرض لجشع الرجال..

وقالت الابنة معترضة :

— أبناؤها قطعة منها.. ومن يهتم بهم وكيف تدبر حياتهم؟.

وقالت الأم فى إصرار :

— أبناؤها قطعة منها.. ومن يتزوجها سيأخذها كلها بأولادها..

وقالت الابنة وكأنها حائرة كالأم الأرملة :

— ولكن هل تتزوج الآن أم تنتظر حتى يكبر أولادها وتخف مسئولياتهم عنها..

وقالت الأم فى هدوء :

— تتزوج الآن حتى تعيش الحياة الكاملة..

وقالت الابنة كأنها تحادث نفسها:

— هناك رأيان.. رأى يقول : إن من صالح الأرملة الشابة أن تتزوج وأبناؤها صغار حتى يتربى هؤلاء الأبناء وهم متعودون على أن فى البيت رجلا ليس أباهم.. والأبناء وهم صغار لا تكون الأنانية قد تمكنت منهم إلى حد يرفضون أن تتزوج أمهم ويغارون عليها من أى رجل يدخل عليها حتى لو كانت قد تزوجت هذا الرجل.. ولكن هذا الرأى له ما ينقضه.. فإن الأبناء وهم صغار يحتاجون إلى كل وقت الأم وكل إحساسها وكل مسئوليتها.. وكل هذا سيكون على حساب الزوج إذا تزوجته.. وستجد نفسها متحيرة بين احتياجات أبنائها واحتياجات زوجها وتجد نفسها معرضة دائما لثورة الأولاد أوثورة الزوج عليها.. ولهذا فليس من صالحها أن تتزوج وأولادها صغار..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها ساخرة كأنها لا تقتنع بكلامها :

— وما الرأى الثانى:

وقالت الابنة وهى لا تزال تحادث نفسها :

— الرأى الثانى يقول : ان الأرملة تستطيع أن تتزوج بعد أن يكبر الأبناء.. بعد أن يصل الولد الى الجامعة مثلا أو بعد أن تتزوج ابنتها.. وفى هذه الحالة تكون مسئولية تربيتهم قد خفت عنها وتستطيع أن تتفرغ معظم الوقت للزوج فتسعده ويسعدها.. ولكن هذا الرأى أيضا له ما ينقضه..

فإن الأبناء فى هذه الحالة يكونـون قد نشأوا وقد تعودوا على أن أمهم لهم.. وحـدهم.. وتسيطر عليهـم الأنانيـة إلى حـد أن يحرموا عليهـا الزواج.. والـزوج أيضا لا يستطيع أن يتحمل بسهولة هـؤلاء الأبناء الكبار.. انـه يحس أنه يعيش مع رجال مثلـه لا يستطيع أن يقودهم أو يفرض وجوده عليهم.. لا يستطيع أن يكون وحده «رجل البيت».. وأنت تعرفين خديجة هانم.. لقد تـوفى زوجها وترك لها ثلاثة أولاد كبار.. ولم تتـزوج.. وعنـدمـا يسألـونها لماذا لم تتزوج تقـول ضـاحكـة انها متزوجة من ثلاثة.. أى ثلا ثة أزواج .. وهى تقصد أولادها..

وقالت الأم وكأنها بدأت تقتنع بكلام ابنتها :

— وأنت.. ما رأيك.. كيف تختار المرأة الأرملة بين النظرتين؟

وقالت الابنة وهى تتنهد فى حسرة :

— أنـا حائرة مثل المسكينـة فردوس.. عقلى حـائر فى البحث عن نظرية ثالثة لاسعاد الأرامل..

وقالت الأم وكأنها وجدت الحل :

— انك تذكـرينني بصديقتنـا ألفت.. أنت تعلمين أنها ترملت ولها أربعة أبنـاء أكبرهم فى السادسـة عشرة.. وكما هى العـادة قررت أن تهب كل حياتها لأبنائهـا بلا زواج.. ولكنها بعد عـام واحد تقدم لها عبدالمقصود.. وهـو أيضا أرمل وله ثلاثـة أبناء أكبرهم فى العشرين.. وقد أعجبت ألفت بعبدالمقصود وتمنـت أن تتزوجه.. ولكن ماذا تفعل بأولادها وماذا يفعـل بأولاده.. وأخيرا تزوجا على أن تبقى هى فى بيتها مع أولادهـا ويبقى هو فى بيته مع أولاده.. ويلتقيان كلما أراد منهما الآخر.. وأعتقد أن هذا الحل السعيد والوحيد..

وقالت الابنة فى حدة :

— هذا ليـس حلا.. إن الـزواج يفرض المعـايشة الكاملة وأن يكون للزوج والـزوجة حياة واحدة بكل متطلبـات الحياة.. أمـا ان تلتقى المرأة والـرجل كلما

أرادت لقاءه فهـذا ليس زواجا انـه العشق.. أى هى معشوقتـه وهو عشيقها..

وقالت الأم بسرعة :

— على الأقل تكـون عـلاقتهـا شرعيـة مهما اختلفت عن الحيـاة الزوجية الكاملة..

وقالت الأم فى سخط :

— حيـاة العشق لا تحتـاج الى الشرعيـة ولا تحتـاج الى مـواجهـة الناس.. ان الشرعية هى ما تحتاج اليه الحياة الزوجية الطبيعية الكاملة..

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى استسلام :

— اسمعى يـا ابنتى.. ان الـزواج حظ.. مجرد حظ.. وقـد تكـون أرملـة لها عشرة أبنـاء أسعد فى زواجهـا الثـانى من عـروس تتـزوج زواجها الأول.. حظ..

وقالت الابنة وهى تقوم مبتعدة :

— الحظ لا يستغنى عن العقل..

وقالت الأم ضاحكة لتخفف عن ابنتها :

— وأنت أتعتمدين على حظك أم على عقلك؟..

وقالت الابنة وكأنها تهم بالبكاء :

— أنا حائرة بين حظى وعقلى..

* * *

قالت الابنة فى قرف :

— لم أعـد أدرى كيف تستطيـع البنت أن تجد عملا وتعيش عليه وهى مطمئنة..

وقـالت الأم وهى تبتسم كأنها تعـرف أن ابنتهـا تحمل خبرا جديدا:

— ما آخر أخبارك ؟

وقـالت الابنة وهى تلـوى شفتيهـا كأنها تبصق كلماتها:

— أخبار سوداء.. ان صديقتى أمينة مضى عليها أيام وهى تبكى وقد قررت أن تترك عملها..

وقالت الأم فى لهفة :

— لماذا.. ماذا حدث ؟

وقالت الابنة وهى تتنهد فى حسرة :

— أنت تعلمين أن أمينة تخرجت منذ عامين فى معهد السكرتارية بالجامعة الأمريكية.. وكانت دائما أشطر البنات.. لغات.. تيبرايتر.. واختزال.. كل شىء يجعلها أقدر سكرتيرة.. وقد عملت بعد أن تخرجت سكرتيرة للمهندس فؤاد بكر صاحب شركة المقاولات العالمية.. وفرحت بعملها.. ونجحت.. وأصبح المهندس يعتمد عليها فى كل عمله حتى انه صحبها معه إلى الخارج مرتين لمساعدته فى انجاز أعماله كسكرتيرة.. ولكنها بعد كل هذا النجاح قررت أن تترك العمل..

وقال الأم بلا مبالاة :

— لابد أنه بدأ يطلب منها أشياء خارج اختصاصات السكرتارية.. بدأ يغازلها كما هى العادة..

وقالت الابنة بحدة :

— أبدا .. ليس هو السبب فى تركها العمل..

وقالت الأم فى حيرة :

— ما السبب ؟

وقالت الابنة فى غيظ :

— زوجته ..

وابتسمت الأم وقالت بلا مبالاة :

— هذا ما يحدث دائما.. الزوجة والسكرتيرة.. ان الزوجة تعتبر السكرتيرة ضرتها.. خصوصا إذا كانت سكرتيرة صغيرة وحلوة ورشيقة كصديقتك أمينة..

وصرخت الابنة :

— لماذا .. لماذا لا تحترم الزوجة عمل زوجها

واحتياجاته الى من يساعده فى عمله.. ان رجل الأعمال محتاج إلى سكرتيرة فى مكتبه كاحتياجه إلى الزوجة فى بيته..

وقال الأم ساخرة :

— ان الزوجة تخشى أن تلطش السكرتيرة زوجها وتتزوجه.. أو أن يصبح للسكرتيرة نفس حقوق الزوجة حتى بلا زواج..

وعادت الابنة تصرخ :

— هذا معناه أن الزوجة لا تثق فى زوجها.. ومادامت لا تثق به فهو ليس فى حاجة إلى سكرتيرة حتى يتزوج عليها أو حتى يكون على علاقة بامرأة أخرى غيرها..

وقالت الأم تحاول أن تخفف من صراخ ابنتها :

— ربما لم تحاول صديقتك أمينة أن تكسب ثقة وصداقة زوجة صاحب العمل..

وقالت الابنة فى غيظ :

— بالعكس.. لقد حاولت أمينة كل ما فى استطاعتها.. حاولت إلى درجة أنها كانت تقبل التنازل عن كرامتها.. وقد بدأت العمل وهى تعتقد أنها ليست فى حاجة إلى التعرف الى زوجة صاحب العمل.. ليس بينهما ما يتطلب هذه المعرفة.. كل منهما لها اختصاصها وعملها ومجتمعها.. ولكن الزوجة جاءت يوما إلى المكتب ورأت أمينة لأول مرة.. ومن يومها بدأت البلاوى.. أصبحت تتصل بها بالتليفون وتأمرها كأنها خادمتها.. قولى للسائق أن يمر على المدرسة ليعود بالأولاد إلى البيت.. اتصلى بالدكتور وحددى لى موعدا معه.. قولى للخياطة انى أنتظرها فى البيت.. و.. و.. وبدأت تحشر نفسها حتى فى العمل.. من فضلك إبلغينى بمواعيد زوجى حتى أذكره بها.. من قابل زوجى اليوم.. أين ذهب.. و.. و.. وأمينة تحتمل كل ذلك دون أن تشكو للزوج.. إلى أن جاءت الزوجة يوما إلى المكتب ووقفت تنظر

إلى أمينـة فى حقد.. ثم قـالت كأنها تلعنها.. هـذا ليس ثـوبا تـرتديـه سكرتيرة زوجى.. هذا ثوب للنـادى أو لكباريه وليس للعمل فى مكتب محترم..

وقالت الأم فى دهشة :

— وماذا فعلت أمينة ؟.

وقالت الابنة وهى أشد غيظا :

— ضغطت على أعصابها ولم تـرد عليها.. وفى اليـوم التالى ذهبت الى المكتب وهى مـرتديـة ثـوبـا قديما يتـدلى حتى قـدميها، ويكسـو ذراعيها حتى معصميها.. ودخلت على رئيسـهـا المهندس فؤاد فصرخ فى وجهها.. ماذا فعلت فى نفسك.. ما هذا الثوب القبيح الذى ترتدينه.. وقالت له فى هدوء.. هذه أوامر الست زوجتك..

وقالت الأم من خلال دهشتها :

— وماذا فعل الزوج ؟.

وقالت الابنة وهى تتنهد فى أسى :

— بـدأت الخناقـات بينـه وبين زوجتـه.. وبدأت الـزوجـة تصب حقـدهـا على أمينـة.. إلى أن اضطـرت أخيرا إلى أن تستقيل وتعيش أيامها وهى تبكى..

وقالت الأم فى هدوء :

— هـذا هو مـا يحدث دائما بين الزوجـات والسكرتيرات.. وقـد قرأت منذ سنوات طويلة قصة لاحسان عبدالقدوس بعنـوان «الزوجـة والسكرتيرة» يحكى فيهـا نفس الحكاية..

وقالت الأم فى قرف :

— اننى أعرف زوجا تغلب على هذه المشكلة بأن عين فى مكتبـه خمس سكرتيرات حتـى تتوه زوجتـه بينهن ولا تستطيع أن تصب حقدها على واحدة..

وقالت الأم ساخرة :

— وأنـا أعـرف زوجة تغلبت على المشكلـة واستطـاعت أن تعيش مطمئنة.. لقد أقنعت زوجها بأن تكون سكـرتيرته ابنة أخيها وعندما تـزوجت ابنة الأخ وتـركت العمل وضعت مكانها ابنـة أختها.. وهكـذا تعيش مطمئنة من الشك فى السكرتيرات..

وقالت الابنة ثائرة :

— هذا ليس حلا ..

وقالت الأم وهى تتجه إلى المطبخ:

— المهم أن تقتنعى بألا تكـونـى سكـرتيرة لأحـد بعـد تخرجك..

وصرخت الابنة..

— بـالعكس.. سأكون سكـرتيرة حتى أربى الزوجـات وأجبرهن على احترام السكرتيرات..

قالت الابنة وبين شفتيها ابتسامة مرة :

— ماما.. ما هو المثل الذى يقولونه عن السلايف ..

وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها فى استنكار :

— ماذا يذكر ك بالسلايف الآن ؟!

وقالت الابنة فى مرارة :

— حكاية صديقتى منيرة مع سلفتها فريدة ..

وقالت الأم وهى تمسك بإبرة التريكـو كأنها تستعد لسماع حكاية طويلة تتسلى بها ..

— ما هى حكاية صديقتك ؟

وجلست الابنـة بجـانب أمهـا وهى تتنهـد كأنها تتحسر على حال الدنيا وبدأت تحكى ..

— لقد كـانت منيرة تحب فتحى وكان مـا يؤجل زواجهما هو البحث عن شقـة وكان من المستحيل أن يجد شقـــة. فقبلت منيرة الـــزواج على أن تقيم مع حبيبها فى شقـة عائلته مع أمـه وأبيه إلى أن يفتح الله عليهما ويجدا شقة.. ولكـن المشكلة ان ابراهيـم أخا

فتحى يقيم أيضا مع العائلة وهو متزوج من فريدة.. ولكن الشقة واسعة.. بها ثلاث غرف للنوم غير الصالة وغرفة الاستقبال.. غرفة للأم والأب.. وغرفة لابراهيم وزوجته.. وغرفة لفتحى ومنيرة.. واضطرت منيرة أن تقبل الحياة مع سلفتها خصوصا انها قريبة من عمرها.. أكبر منها بعامين.. وقد تعرفت بها قبل أن يتم الزواج ووجدتها رقيقة ومهذبة فادعت كل منهما أنها أصبحت صديقة للأخرى.. وما كاد الزواج يتم حتى بدأت المصائب.. وياداهية دقى..

وقالت الأم وهى ترفع عينيها عن ابرة التريكو :

— ماذا حدث كفى الله الشر ؟.

وقالت الابنة فى عصبية :

— وحتى قبل أن تنتقل منيرة لتعيش مع سلفتها بدأت المصائب.. فإن زوجها فتحى قرر أن يؤسس ديكورا جديدا كاملا للغرفة المخصصة له ولزوجته.. وأدخل فى هذه الغرفة حوضا وحنفية ماء خاصة حتى يغنى زوجته ويغنى نفسه عن استعمال حوض العائلة.. وأكثر من ذلك.. لقد اشترى ثلاجة خاصة ووضعها فى الغرفة.. وياداهية دقى.. غارت فريدة من منيرة.. وهى تريد هى الأخرى حوضا وثلاجة فى غرفتها.. وحاول زوجها أن يقنعها بأنهما ليسا فى حاجة إلى الحوض والثلاجة.. ان لوازم البيت تكفيهما خصوصا أن فتحى ومنيرة لن يكونا فى حاجة الى حوض العائلة ولا ثلاجة العائلة.. ولكن فريدة أصرت.. وبدأت خناقات تشترك فيها العائلة كلها.. إلى أن اضطر ابراهيم أخيرا أن يشترى ثلاجة لفريدة وإن كان لم يشتر الحوض..

وقالت الأم وهى تبتسم فى هدوء :

— فريدة لها حق ياإبنتى.. مادام يمكن أن يكون لها ثلاجة خاصة فلماذا لا تطالب بها ؟.

وصرخت الابنة :

— لقد أصبح فى البيت ثلا ث ثلاجات.. وطبعا كل منهما تريد أن تملأ ثلاجتها أكثر من الأخرى.. هذه فوضى السلايف.. وهناك ما هو أكثر من ذلك.. ان أفراد عائلة منيرة كانوا يكثرون من زيارتها.. كل يوم يزدحم البيت بأخوتها وبنات عمها.. و.. و.. وكانوا طبعا يجلسون فى غرفة الصالون.. وإذا بفريدة تعلن الثورة.. من فضلك يامنيرة خذى أهلك فى غرفتك لأنى لا أستطيع أن أتحرك أمامهم وأنا بثياب البيت.. وقامت ضجة أخرى.. فإن الأب هو المسئول عن مشتريات البيت حتى يترك ولديه يدخران ما يكسبان.. وكان هو الذى يشترى بنفسه كل شىء.. وفى كل صباح يجلس مع كل أفراد العائلة على مائدة الافطار ويسأل.. ماذا تريدون اليوم فتقول منيرة.. نفسى ياعمى فى الخرشوف وسأطهوه بنفسى.. انى مشهورة بطبخة الخرشوف.. فترد فريدة.. أنا لا أطيق الخرشوف.. واليوم أريد سبانخ.. وتقوم خناقة.. حتى ان منيرة أصبحت تخرج من البيت كل صباح مع زوجها وتذهب وتبقى فى بيت أهلها إلى أن يعود إليها زوجها ويأخذها إلى غرفتهما..

وقالت الأم وهى تمصمص شفتيها :

— مسكينة ..

وقالت الابنة فى فرح :

— لقد وجدا أخيرا شقة لهما وحدهما..

وقالت الأم فى فرح :

— الحمدلله.. لقد انتهت المشكلة.. وعادت الابنة تصرخ..

— أبدا.. لم تنته.. ان أم فتحى سيدة عجوز وقد بدأت فى توزيع مصاغها على زوجتى ولديها.. بالتقسيط .. كل عدة شهور.. تعطى هذه سوارا وتلك خاتما.. وهكذا واشتد الصراخ.. ماذا أعطت لمنيرة وماذا أعطت لفريدة..

وقالت الأم وهى تتنهد فى أسى :

— على رأى المثل الذى سألتنى عنه.. مركب الضراير سارت ومركب السلايف غارت..

وقالت الابنة فى حيرة :

— وكيف ننقذ مركب السلايف قبل أن تغور ؟.

وقالت الأم فى هدوء :

— انها مشكلة تعتمد على شخصية كل من السلفتين.. كل منهما تحب أن تكون لها شخصية مستقلة قوية.. وتفرض استقلالها على كل نواحى الحياة.. فلا تنظر الى حياة سلفتها ولا تقارن نفسها بها.. كل واحدة منهما مكتفية بنصيبها.. راضية عن نفسها.. وتعمل لمستقبلها ومستقبل أولادها هى.. بصرف النظر عن مستقبل سلفتها وأولادها..

وقالت الابنة فى غيظ :

—كل المصائب التى تحدث بين أولاد العم سببها السلايف..

وقالت الأم وهى تخفف عن ابنتها بابتسامتها:

— إحمدى ربنا لأن ليس لأمك سلفة..

وقالت الابنة فى أسى :

— وليس لى أولاد عم .. ياحسرة..

قالت الأم فى صوت حزين :

* * *

— كانت عندى شفيقة هانم وقضيت معها النهار كله فى بكاء..

وقالت الابنة فى لهفة :

— لماذا.. كفى الله الشر ؟!

وقالت الأم وهى تتنهد :

— لقد سافرت ابنتها عزيزة إلى لندن.. وحدها..

وقالت الابنة وقد أفاقت من لهفتها..

— وماذا لو سافرت وحدها.. أصبح من حق

البنت الآن أن تسافر وحدها كالولد.. وقد سبق أن قلت لك ان عقلية الأهل يجب أن تتطور.. ويجب أن يفهموا أن ما تستطيع البنت أن تفعله فى لندن تستطيع أن تفعله فى القاهرة.. وما تستطيع أن تفعله هى وحدها تستطيع أن تفعله وهى بين مائة حارس ورقيب..

وقالت الأم فى حسرة :

—ليس المهم ما تفعله عزيزة فى لندن.. ان شفيقة هانم تعتقد أن ابنتها لن تعود..

وقالت الابنة فى دهشة :

— لماذا .. هل هاجرت الى هناك.. هل أحبت رجلا من هناك وهربت إليه لتتزوجه.. أم وجدت هناك عملا يضمن لها الحياة؟!

وقالت الأم وهى تمصمص شفتيها :

— أبدا .. وأنت تعلمين أن عزيزة ليست ابنة شفيقة.. ان شفيقة لا تنجب.. وكانت عزيزة ابنة إحدى نساء القرية فأخذتها شفيقة لتربيها وتشبع بها نقص الأمومة الذى تعانيه.. أى أن شفيقة تبنت عزيزة.. ولكنها ظلت محتفظة لها باسم عائلتها.. وكانت تسمح لأمها وأبيها وأخوتها بزيارتها كل عام مرة أو مرتين.. بل ان شفيقة كانت تدفع معونات لأهل عزيزة.. وفى الوقت نفسه لم تكن تبخل على عزيزة بشىء.. بل انها اعتبرتها كأنها ابنتها فعلا.. وأدخلتها مدرسة الليسيه وكانت تقدمها للناس على انها ابنتها رغم أن كل الناس يعلمون أنها ليست ابنتها..

وقالت الابنة بلا مبالاة :

— هذا أمر طبيعى يحدث كثيرا..

وقالت الأم فى حدة :

— ان عزيزة هى التى ليست طبيعية.. انها عنيدة.. مجنونة.. ليست وش نعمة..

وعادت الابنة الى لهفتها تتساءل :

— لماذا ؟!

وقالت الأم وهى أكثر حدة :

— لقد كانت تتشاجر دائما خصوصا مع زوج شفيقة هانم.. أى مع أبيها بالتبنى.. ان تعليمها جعلها تعطى لنفسها كل الحرية.. وتسىء استعمال هذه الحرية.. وزوج شفيقة رجل محافظ لا يطيق أن يضم إلى بيته فتاة حرة.. وكانت عزيزة فى كل خناقة تفر وتذهب الى أهلها فى القرية..

وقالت الابنة وهى تلوى شفتيها امتعاضا :

— ولماذا لم يتخليا عنها ويتركاها لأهلها ؟..

وقالت الأم فى غيظ :

أن عزيزة نفسها لم تكن تطيق أن تبقى طويلا مع أهلها.. طبعا.. بعد أن تعلمت وعاشت فى العز وذاقت النعمة لم تكن تستطيع أن تنتقل لتعيش فى الجهل والفقر.. وأهلها انفسهم كانوا لا يريدون أن يحرموا من البقشيش الذى يحصلون عليه.. فكانت عزيزة تعود.. وتفرح شفيقة وزوجها بعودتها لأنهما يحبانها.. وتعود الخناقات من جديد.. إلى أن كبرت عزيزة وأصبحت الآن فى التاسعة عشرة من عمرها.. وبينما شفيقة تبحث عن عريس لها.. إذا بعزيزة تفاجئها بأنها قررت أن تسافر إلى لندن.. واستطاعت أن تسافر فعلا دون أى مساعدة من أحد..

وقالت الابنة فى دهشة :

وحتى بلا كلمة شكر ؟!

وقالت الأم فى حسرة :

— لقد أرسلت لشفيقة خطابا من لندن كله حب وعرفان بالجميل ولكنها تقول انها لن تعود إلا بعد أن تبنى حياتها وتستقر هناك.. أى تعود لمجرد الزيارة..

وقالت الابنة بعد أن فكرت برهة :

ان التبنى قام على أساس خاطىء.. التبنى لا يكون كاملا إلا لطفل لا أهل له.. طفل من ملجأ.. ويجب أن يبدأ والطفل فى عامه الأول وهو غير متأثر بأصله.. يكبر وكل احساسه مع المرأة والرجل اللذين تبنياه.. انهما أمه وأبوه كما أنه ابنهما.. وبهذا يتم الارتباط العائلى..

وقالت الأم ساخطة :

— ما الحاجة الى التبنى.. ان صديقتى فهيمة هانم لم تنجب ولم تتبن.. وهى تجمع حولها كل بنات وأولاد أخوتها.. وتدعوهم ليقضوا معها أوقات الفراغ.. تشترى لهم الهدايا.. وتلعب معهم وبهم تحبهم كأنهم كلهم أولادها.. وهو حب يخفف عنها نقص الأمومة..

وقالت الابنة وكأنها تشفق على فهيمة هانم :

— ولكن ينقصها من يناديها ماما.. ماما.. هل يمكن أن تستغنى أنت عن لقب ماما؟..

وقالت الأم فى إصرار :

— هل تسمعين عن فاطمة هانم التى أسست ملجأ الأيتام.. انها عاقر ولم تنجب.. وقد أسست هذا الملجأ لتشبع غريزة الأمومة فيها.. انها الآن أم لعشرات الأبناء وكلهم ينادونها ماما..

وقالت الابنة مبتسمة ابتسامة حلوة :

— ان لقب ماما يصبح فى هذه الحالة أشبه بالألقاب التى تمنحها الدولة عرفانا بالجميل.. ولكنى أسمع عن حالة أخرى.. حالة طنط بهية وزوجها.. انهما لم ينجبا.. وتقول بهية : إن غريزة أمومتها قد أعطتها لزوجها.. فهو زوجها وإبنها.. وزوجها يقول : إن بهية هى زوجته وابنته.. وهى تناديه.. بابا.. وهو يناديها.. ماما.. وهذا هو منتهى الحب.. حب أقوى من كل نقص..

وقالت الأم كأنها لم تفق من حسرتها :

— الأمومة غريزة وليست مجرد حب..

وسكتت الابنة برهة ثم قالت فى جزع :

— ماما .. كيف أتأكد انى سأنجب ؟!

وقفزت الأم واقفة وقالت فى حدة وهى تبتعد :

— ليس هذا وقت هذا السؤال !!

* * *

قالت الابنة فى صوت يقطر حسرة :

— ان بهيجة أخت صديقتى سميرة فى حالة تقطع القلب وتصعب على الكافر..

وقالت الأم بلا اهتمام :

— لماذا .. ماذا حدث لها ؟

وقالت الابنة فى أسى :

— انها تحب ولا تدرى مصير هذا الحب..

وقالت الأم ساخرة :

— كما هى العادة.. تريد أن تتزوج حبيبها وهو يراوغها..

وقالت الابنة فى حدة :

— أبدا.. هى التى تراوغه.. لا تستطيع أن تقرر أتتزوجه أم لا تتزوجه؟!

وقالت الأم فى قرف :

— كيف تراوغ حبيبها.. أن الحب لا يحتمل المراوغة.. إلا إذا كان لحبيبها عيوب تجعلها تتردد فى الزواج..

وقالت الابنة فى صوت ساهم :

— ان العيب فيها ..

وقالت الأم فى دهشة :

— ما عيبها ؟

وقالت الابنة وهى ساهمة :

— انها أكبر منه ..

وقالت الأم وهى أكثر دهشة :

— هل هى أكبر منه بكثير ؟

وقالت الابنة فى حسرة :

— انها أكبر منه بست سنوات.. هى الآن فى السادسة والثلاثين وهو فى الثلاثين..

وخبطت الأم على صدرها كأنها تصد صدمة..

— ياخبر.. ألم تكن تعرف أنها أكبر منه قبل أن تحبه؟

وقالت الابنة وهى تتنهد :

— أنت تعلمين أن بهيجة كانت قد خطبت بعد أن تخرجت فى الجامعة.. كانت أيامها فى الثانية والعشرين.. واستمرت الخطبة أكثر من ثلاث سنوات لأن خاطبها كان يعمل فى الكويت وكان فى انتظار أن ينجح هناك ليقيما بيتا كاملا للزوجية.. ولكنها صدمت فى خاطبها.. خان الحب وخان العهد وتزوج فتاة أخرى.. ومن يومها قررت بهيجة ألا تتزوج.. أن تعيش وحيدة العمر كله.. ولكنها بعد سنوات طويلة التقت بعباس..

وعندما بدأت تحس أن هذا اللقاء يتطور إلى حب حاولت أن تقاومه.. لم تبتعد عنه.. ولكنها أخذت تتردد على عائلته وتصادق أمه وأخوته حتى تجعل من علاقتها بعباس مجرد صداقة.. ولكنها أحبت عائلته.. والعائلة أحبتها.. وازدادت ارتباطا بعباس حتى تصارحا بالحب.. ووقعت فى الحيرة.. حيرة تعيش فيها منذ عامين..

وقالت الأم وهى تنظر الى ابنتها كأنها تجرى معها تحقيقا :

— هل يعلم عباس أن بهيجة أكبر منه بست سنوات.. انها فى عمر يمكن أن يفضح نفسه.. ربما كان يظن انها أصغر منه أو فى مثل عمره..

وقالت الابنة وهى فى حسرتها :

— انها لا تدرى أهو يعلم حقيقة عمرها أم لا يعلم.. انهما لم يفتحا أبدا سيرة العمر.. ربما لا

يعـرف عمـرها أو ربـما يعـرف ويسـكت..
وبهيجة لم تعد تحتفل بعيد ميلادها حتى لا تثير موضوع العمر..
وقالت الأم فى سخط :
— على كل حال يجب أن ترفض بهيجة الزواج من عباس..
وصرخت الابنة :
— لماذا.. لماذا تضحى بالحب وتضحى بسعادة ما بقى من عمرها..
وقالت الأم محتدة :
— لأن الطبيعة تفرض على المرأة ألا تتزوج من هو أصغر منها. وتفرض على الرجل ألا يتزوج من هى أكبر منه..
وعادت الابنة تصرخ :
— هذا كلام قديم.. لقد ثبت علميا انه ليس هناك فارق بين طبيعة الأنثى وطبيعة الذكر.. وإذا كان الرجل وهو فى الستين يستطيع أن يتزوج فتاة فى العشرين فلماذا لا يكون من حق المرأة وهى فى السادسة والثلاثين أن تتزوج رجلا فى الثلاثين.. اننا فى عصر المساواة ياماما.. المساواة فى كل شىء..
ونظرت الأم الى ابنتها وهى تبتسم ساخرة وقالت :
— مهما قال علماء هذه الأيام.. فالحقيقة التى يجب أن تعترفى بها هى أن المرأة تشيخ قبل الرجل.. ولهذا فمن صالح المرأة أن تتزوج رجلا أكبر منها حتى يبقى الاثنان فى مستوى واحد العمر كله.. وتصورى صديقتك بهيجة بعد عشر أو عشرين سنة.. ستكون عجوزا تفقد كل مؤهلات أنوثتها بينما يكون زوجها لايزال محتفظا بكل مؤهلات رجولته.. فكيف يكون الحال.. هل تتركه ليتزوج امرأة أخرى أصغر منها..
وقالت الابنة فى قرف :
— ياماما الزواج لا يقوم على مؤهلات الأنوثة..

أقصد المؤهلات الجنسية.. ان الزواج عشرة.. حياة.. الأولاد.. البيت المجتمع.. ثم ان صديقتك فريدة هانم متزوجة من رجل أصغر منها بسنوات.. كلنا يعرف هذا وهما فى منتهى السعادة..
وقالت الأم وهى تنظر إلى ابنتها كأنها تتهمها بالعبط..
— ان فريدة تزوجت من هو أصغر منها لأنها امرأة غنية وتستطيع أن تعتمد على نفسها مهما تغير حال زوجها.. وربما كان زوجها لم يتزوجها إلا لأنها غنية.. وانظرى الى كل نساء العالم اللائى يتزوجن شبابا أصغر منهن.. كل منهن إما غنية وإما مشهورة وإما صاحبة منصب كبير.. والشاب يتزوج الغنى أو الشهرة أو المنصب..
وقالت الابنة غاضبة :
— هذا كلام فاض.. لقد نصحت بهيجة بأن تتزوج «عباس».. هذا أفضل وأشرف من أن تعاشره بلا زواج.. ومهما حدث فقد نالت السعادة حتى لو كانت سعادة بضع سنوات تعوضها عن حرمان العمر كله..
وقالت الأم وهى لاتزال ساخرة :
— كم عمر صديقك عصام ؟
وقالت الابنة وهى تهم بالخروج من الغرفة :
— انه أكبر منى بعامين..
وقالت الأم ساخرة :
— هذا لا يكفى.. يجب ألا يقل فارق السن عن عشر سنوات..
وقالت الابنة فى قرف وهى تجرى مبتعدة :
— حاضر ياماما.. سأطلب منه أن يشيخ عشر سنوات.. تكفيه جلستين معك ويشيخ..

* * *

قالت الأم كأنها قرفانة :
— هل سمعت آخر أخبار مديحة ؟

وقالت الابنة فى لهفة :

— خير.. ما آخر الأخبار ؟

وقالت الأم وهى لاتزال قرفانة..

— تقدم لها رجل ليخطبها لم تكن تحلم بنصفه ولا حتى بظفر رجله.. انه غنى.. انه مليونير.. يملك عمارتين.. واحدة فى الدقى والثانية فى الزمالك.. ويملك فيللا فى مدينة المهندسين يقال انه يؤجرها مفروشة لاحدى السفارات بإيجار شهرى يبلغ ألفى جنيه.. كل شهر ألفان من الجنيهات.. وهو بجانب كل هذا أستاذ فى الجامعة..

وقالت الابنة فى فرح :

— الحمدلله .. لقد عوضها الله عن مصيبتها فى الحب الذى عاشت فيه ثلاث سنوات ثم تخلى عنها حبيبها وتركها بعد أن عصر قلبها لتعيش بلا قلب..

وقالت الأم فى غيظ :

— ان مديحة ترفض الموافقة على هذا الرجل الذى تقدم لها..

وقالت الابنة فى دهشة :

— لا يمكن.. مستحيل.. انى أعرف أن مديحة قد كفرت بحبها القديم وتخلصت من آمالها وأحلامها التى يمكن أن تدفعها الى التمسك بهذا الحب حتى ترفض من يتقدم لها..

وقالت الأم وهى تلوى شفتيها فى قرف :

— ليس الحب هو السبب..

وقالت الابنة فى لهفة :

— إذن لماذا لا تريد هذا الرجل ؟

وقالت الأم وهى أشد قرفا :

— انها تقول انه رجل ليس جميلا ولا وسيما.. بالعكس.. انه قصير تخين وله كرش وليس له عنق كأن رأسه ملصوق بكتفيه..

وقالت الابنة وهى تهز كتفيها بلا مبالاة :

— الجمال والوسامة ليسا من مميزات الرجل.. الرجل يختلف عن المرأة.. فلا تزال شخصية المرأة ترتبط بنسبة جمالها ونسبة الاغراء فى أنوثتها.. أما شخصية الرجل فلا ترتبط بشكله ولا بجماله..

وقالت الأم ساخرة :

— على ماذا تعتمد شخصية الرجل يا أيتها الفيلسوفة فى علم الرجال؟!

وقالت الابنة وهى جادة دون أن تهتم بسخرية أمها :

— ان شخصية الرجل تقوم على مدى قوة هذه الشخصية.. قد يكون الرجل وسيما.. رشيقا.. أنيقا.. ولكنه بلا شخصية.. فتضيع وسامته ورشاقته وأناقته بعد لحظات من الجلوس إليه ولا تصبح له قيمة إلا كقيمة العروس من الحلوى.. مظهر بلا نبض.. تمثال بلا حياة.. ومن تتزوج مثل هذا الرجل ولمجرد أنه وسيم تعيش محرومة طول حياتها.. محرومة من الشخصية التى تبهرها وتشدها إليها.. وقد لا يكون الرجل وسيما ولا رشيقا ولا أنيقا ولكنه يمتاز بشخصية قوية.. وبعد لحظات من جلوسك إليه تنسين شكله وتعيشين مبهورة بهذه الشخصية القوية وقد تقعين فى حبه..

وقالت الأم وكأنها تأثرت بمنطق ابنتها :

— وكيف نكشف شخصية الرجل ؟

وقالت الابنة كأنها تلقى درسا على أمها:

— إن أهم عنصر من عناصر الشخصية هو النجاح.. أن يكون الرجل ناجحا.. عاملا ناجحا.. أو موظفا ناجحا.. أو فنانا ناجحا.. أو.. أو.. أن جاكلين كيندى تزوجت أوناسيس رغم أن شكله بشع ورغم أنه عجوز.. لماذا تزوجته ؟ لأنه ناجح . نجاحه هو الذى أغراها وجذبها حتى تزوجته.. وجمال عبدالناصر عندما ظهر رأته النساء ليس وسيما.. أنفه كمنقار الصقر.. وصوته مسرسع..

وجاد إلى درجة ثقل الدم.. ولكنه بعد أن نجح وفرض زعامته أصبح لدى البنات والنساء الرجل الأمثل.. وزينة الرجال.. وتمنته كل بنت لنفسها.. لماذا؟.. لأن نجاحه أظهر قوة شخصيته.. والمرحوم عبدالحليم حافظ.. لم يكن فى منتهى الوسامة.. وكان نحيلا قصيرا.. وكان مريضا.. ورغم ذلك فإن نجاحه كفنان فرض شخصيته وأصبح معبود البنات والنساء.. والأمثلة كثيرة.. وإن كانت هناك عناصر أخرى تفرض قوة الشخصية..

وقالت الأم فى لهفة وهى جالسة كتلميذة أمام ابنتها:

— مثل ماذا ؟

وقالت الابنة فى لهجة الأستاذة :

— مثل غرابة الشخصية.. ان البنات فى باريس وفى عواصم أوربا وأمريكا يذبن صبابة فى الرجال الزنوج.. أنف أفطس.. وشفاه غليظة.. وشعر أكرت.. ولون كظلام الليل.. ورغم ذلك تذوب فى هذا الرجل فتاة جميلة.. رائعة.. وغالبا ما تكون شقراء.. وتتمنى أن تتزوجه.. لماذا؟.. لأنه يقدم لها شخصية غريبة تختلف عن الشخصية التى تعودتها.. فتقدم على التجربة.. على المغامرة.. المهم.. أن الجمال والوسامة ليسا شرطين من شروط الرجولة..

وقالت الأم كأنها شبعت من هذه المحاضرات :

— الحقيقة انى وافقت أولا على أن تتزوج مديحة هذا الرجل.. انه رجل ناجح.. كل هذا الغنى بجانب انه أستاذ فى الجامعة.. لاشك انه رجل ناجح.. ولكنى عدت وبدأت أتردد فى الموافقة.. وتذكرت المثل القائل.. «ياواخد القرد على ماله. يضيع المال ويفضل القرد على حاله»..

وقالت الابنة فى حدة :

— يجب أن تتأكد مديحة أن الرجل ليس قردا. أو على الأصح تتخلص من إحساسها بأنه قرد..

وقالت الأم فى لهفة :

— كيف ؟

وقالت الابنة فى إصرار :

— بأن تعرفه جيدا وتختلط به قبل إعلان الخطبة حتى تعيش فى شخصيته لا فى شكله..

وقالت الأم كأن أملها خاب فى منطق ابنتها:

— هذا ما حدث.. انها تخرج معه كثيرا.. وقد صحبها الى محال لم تكن حالتها المالية تسمح لها بأن تحلم بدخولها.. صحبها الى العشاء فى الشيراتون.. وإلى الغداء فى الهيلتون.. وراقصها فى ميناهاوس.. ورغم ذلك لاتزال مديحة مترددة..

وقالت الابنة وهى تقوم لتبتعد :

— مادامت مترددة فستقبله وتتزوجه.. لو كانت سترفضه لرفضته بلا تردد..

وقالت الأم كأنها تستجدى ابنتها :

— ضعى نفسك مكانها .. ماذا كنت تفعلين ؟؟

وقالت الابنة وهى تجرى خارج الغرفة .

ليس فى حياتى قرود

* * *

قالت الام فى صوت متهالك كأنها تستجدى ابنتها :

— يا ابنتى حيرتنى بحكايتك مع صديقك عصام .. مرة أجدك فرحة والسعادة تتنطط على وجهك .. مرة أجدك صامتة مكتئبة ودمك ثقيلا .. وأنا أعلم كما أقول لك دائما أن سعادتك وشقاءك مرتبطان بأحوالك مع عصام .. فطمأنينى .. ما هى أحوالك معه اليوم ..

وقالت الابنة وهى ترخى عينيها بعيدا عن عينى أمها .

— لا شىء جديد ..

وقالت الأم فى عصبية :

— لا أصدقك .. أنك تخفين عنى شيئا .. لقد مضى الآن أسبوعان وعصام لا يأتى ليذاكر معك بعد أن كان يأتى كل يوم .. للمذاكرة طبعا..

وقالت الابنة وهى تزفر أنفاسها :

— لقد قررنا أن يذاكر كل منا وحده .. بعيدا عن الآخر ..

وقالت الأم كأنها تصرخ :

— بعد كل هذه الضجة التى دوشت بها رءوسنا حتى يسمح له أبوك بالتردد على البيت والمذاكرة معك تعودين للمذاكرة وحدك ..

ورفعت الابنة عينيها إلى أمها وقالت فى حدة :

— يا ماما إن كل ما بينى وبين عصام قد انتهى ..

وقالت الأم ساخرة وكأنها لم تفاجأ :

— لقد سبق أن انتهى ما بينكما يوما .. ثم عاد كل منكما إلى الآخر.

وقالت الابنة فى صوت حاسم :

— هذه المرة .. لا عودة ..

وقالت الأم وقد بدأت تصدق ابنتها :

— لماذا لا عودة ؟!

وقالت الابنة وكأنها تحادث نفسها :

— لأن حب الجامعة لا يمكن أن يدوم ..

وقالت الأم فى دهشة :

— ماذا تقصدين بحب الجامعة ؟!

وقالت الابنة وهى لا تزال تحادث نفسها :

— أقصد الحب الذى يبدأ بالزمالة ..

وقالت الأم وهى لا تزال فى دهشتها :

— ولماذا لا يدوم ؟!

وقالت الابنة وهى تتنهد :

— لأن مطالب الحب تتعارض مع مطالب الزمالة..

وقالت الأم فى حيرة :

— لا أفهمك .. ماذا تريدين أن تقولى ؟

وقالت الابنة فى إصرار :

— أريد أن أقول : إن كلا منا زهق من الآخر .. إنى ألتقى بعصام كل صباح فى الكلية ثم نقضى اليوم كله وعيناه علىّ وعيناى عليه .. وكل منا يضع الآخر فى قفص الاتهام ويبدأ التحقيق معه .. من ابتسمت له.. ومن تحدثت إليه .. ولماذا ذهبت إلى المعيد .. و.. و.. وأنا أيضا لا أرحمه.. لماذا كان يضحك مع زملائه .. وماذا كان يقول لزميلتنا سعدية .. و.. و.. أن عصام يتصور أنى إذا كنت قد أحببته وهو زميلى فقد أحب أى زميل آخر.. وأنا أيضا أتصور أحيانا أنه ما دام عصام قد استطاع أن يشدنى إلى الحب فقد يشد غيرى.. وبخاصة أنى لست أجمل بنات الجامعة ولا أشطرهن ..

وقالت الأم وهى تحاول أن تخفف على ابنتها :

— ياابنتى كل هذا من طبيعة الحب .. والحب يعيش دائما فى حالة غيرة مستقرة .. يغار عليك وتغارين عليه .. والغيرة هى حالة دفاع عن النفس .. أى دفاع عن الحب ..

وقالت الابنة فى إصرار :

— ولكن الزمالة تجعل كلا من المحبين رقيبا على الآخر .. حالة رقابة مستمرة .. وتشتد الغيرة حتى تصبح لا تطاق .. لا أطيق غيرته على ولا أطيق أيضا غيرتى عليه .. إنى أحيانا أتعمد عدم الذهاب إلى الكلية ..

وقالت الأم مبتسمة :

— حتى ترتاحى من عصام ؟

وقالت الابنة وهى ساهمة :

— وأكثر من ذلك .. حتى أشتاق إليه .. أن حبنا محروم من نعمة الشوق .. أنى أراه كل يوم حتى

اختفى الشوق وحل محله الزهق.. كل منا زهقان من الآخر ..

وقالت الأم وهى لا تزال مبتسمة :

— أنك تذكريننى بحديث طويل كنا نتسلى به منذ أيام .. كنا نتساءل .. هل زواج الزملاء فى العمل يعتبر زواجا سعيدا ؟!

وقالت الابنة فى لهفة :

— وماذا كان رأيكن ؟

وقالت الأم فى هدوء :

— كان رأينا أن زواج زملاء العمل معرض دائما للفشل .. أن الزوج والزوجة يكونان معا فى البيت وفى مكان العمل .. فيحرمان من أجمل ما فى الحياة الزوجية .. وهى عودة الزوج إلى البيت .. هو يسرع إليها وهى فى انتظاره .. والشوق ينبض فى صدر كل منهما .. وفرحة عودة الزوج إلى البيت كل يوم فرحة لا تنتهى .. ولو كان كل منهما فى عمل منفصل عن الآخر .. أى لو تزوجت المحامية من مهندس .. والفنانة من دكتور .. والصحفية من رجل أعمال.. فى هذه الحالة يكون الزواج أقدر على إسعاد الزوجين .. لأن كلا منهما لا يحرم من الشوق إلى الآخر .. ولأن كلا منهما يستطيع أن يعيش فى موضوع آخر غير موضوع عمله .. أى أن كلا منهما يعيش فى دنيتين .. دنيا عمل الزوجة ودنيا عمل الزوج .. بدل أن يعيشا فى دنيا عمل واحد فلا يجدان شيئا جديدا فى حديث كل منهما للآخر ..

وقالت الابنة ساخطة :

— إن زواج الزملاء يذكرنى بزواج الأقارب ..

وقالت الأم ضاحكة :

— إن زواج الأقارب أصبح محرما طبيا لتأثيره الضار على الإنجاب .. ويجب أن يحرم زواج الزملاء أيضا لتأثيره النفسى الضار الذى يؤدى إلى تعقيد نفسية الزوجة ونفسية الزوج ..

وقالت الابنة فى أسى :

— المشكلة تبدأ بالحب قبل الزواج .. يجب أن تقاوم البنات أن يقعن فى حب أحد من الزملاء .. وقد قاومت الحب حتى تخلصت نهائيا من حب عصام .. وسأقاوم دائما .. لن أستسلم للحب مرة ثانية ..

قالت الأم ضاحكة :

— إن حبك الأول ليس حبك الأخير .. بل إن حبك الأخير هو حبك الأول .. هكذا تقول قصة الوسادة الخالية ..

وصاحت الابنة :

— لا .. أنا مختلفة مع إحسان عبد القدوس .. وسيكون حبى الأول هو حبى الأخير .. خلاص .. حرمت الحب ..

وقالت الأم ضاحكة :

— أنا لست مختلفة مع إحسان .. وبكره نشوف !..

رقم الايداع ١١٦٣٥ / ٩٦
الترقيم الدولى I. S. B. N
977 - 08 - 564 - 5